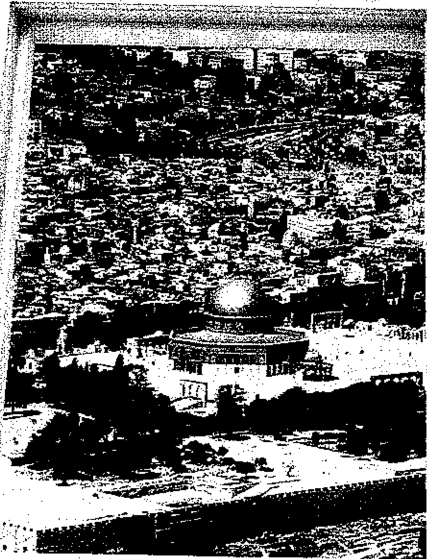
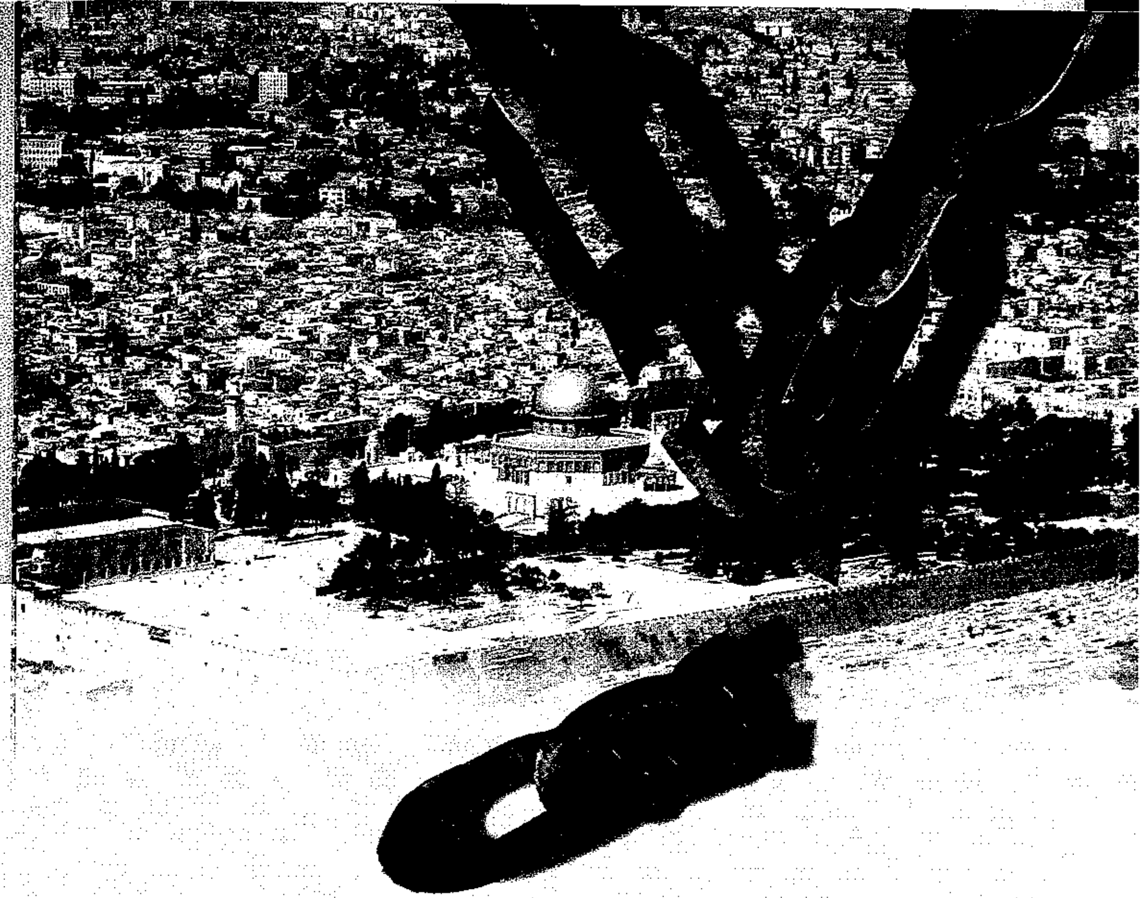
# زيارة القدس

## "فضيلةٌ دينيةٌ وضرورةٌ سياسيةٌ"

د. محمود صدقي الهباش





دار أسامة

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

هاتف: 00962 6 5658253 / 00962 6 5658252
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الإلكتروني: www.darosama.net



# زيارة القدس

"فضيلةٌ دينيةٌ وضرورةٌ سياسيةٌ"

د.محمود صدقي الهباش

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمّان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان

• هاتف: 5658252– 5658253
• فاكس: 5658254
• العنوان: العبدلي- مقابل البنك العربي
ص. ب: 141781

Email: darosama@orange.jo

www.darosama.net



الطبعة الأولى

1433هـ-2012 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2012 /4 /1462)
ISPN: 978-9957-22-478-3

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يَنْبَغي لجلالِ وجهه وعظيم سلطانه، ونَسْتَعِينُهُ سبحانه ونَسْتَهْديه ونَسْتَغْفِرُهُ، ونؤمنُ به ولا نَكْفُرُه، ونعادي ونخاصم من يَكْفُرُه، ونَعُوذُ باللهِ من شُرُورِ أَنْفُسِنا ومن سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، رَبَّنا عليك تَوَكَّلْنا وإليكَ أَنَبْنا وإليكَ المصير.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، لهُ المُلْكُ وله الحَمْدُ، يُحْيِي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وإليه تَصِيرُ الأمورُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، وأشْهَدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبدُه ورَسولُه، وصَفِيُّه وخَليلُه، أَرْسَلَهُ اللهُ بالهُدى ودِينِ الحقِّ ليُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه، وكَفى باللهِ شَهيدًا.

أما بعد:

فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ سبحانه وتعالى، وإنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وإنَّ شَرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعة، وكلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار، مَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسولَه فقد رَشَدَ، ومن يَعْصِ اللهَ ورَسولَه فقد ضَلَّ ضلالاً بعيدًا، ولن تَجِدَ له وَلِيًّا مُرْشِدًا.

هذا، وإنَّ مما لا يَخْفى على أحدٍ من أهل الإسلام، منذ عصر

بعده، ثم من تبِعَهُمْ بإحْسانٍ إلى يومنا هذا، ومهما كانت دَرَجَتُه في العِلْمِ والفقه والمعْرِفة، أنَّ المرجعية العُليا للمسلمين جميعًا في كل الأمور التي تُواجِهُهُمْ، وفي كل القضايا التي تَعْرِضُ لهم، مهما كان موضوعها، وأيًا كان مجالها وميدانها، إنَّما هي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهما الأصلان الصادقان المعصومان الخالِدان اللذان أوحاهما الله تبارك وتعالى إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهما الحق المبين الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، من قال بهما صَدَق، ومن حَكَمَ بهما عَدَلَ، ومن عمل بهما أُجِرْ، ومن تَمَسَّكَ بهما هُدِيَ إلى صراط مستقيم.

وقد قرر القرآن الكريم هذه المرجعية العليا في آياتٍ عدة، أَمْرًا من الله تبارك وتعالى مُلْزِمًا لجميع المؤمنين والمؤمنات، حتى أصبح ذلك من المعلوم من الدين بالضرورة، بحيث لا يَسَعُ أحدًا من أهل الملة الإسلامية أن يَجْهَلَه، ولا يُعْذَرُ في الجهل به أو في مخالفته أحد، وبحيث لا يتم الإيمان والإسلام لأحدٍ من الناس إلا به.

ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة التي تقرر هذه المرجعية الإسلامية العليا قولُه سبحانه وتعالى: **﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ منْكُمْ، فإنْ تَنازَعْتُمْ في شَيءٍ فَرُدُّوه إلى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ، ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[1].

وكذلك قوله سبحانه: **﴿يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَه ولا تَوَلَّوا عنه وأنتم تَسْمَعُونَ﴾**[2].

(1) سورة النساء (59).

وقوله تبارك وتعالى أيضًا: **﴿قُلْ أَطيعوا اللهَ وأَطِيعوا الرَّسولَ، فإنْ تَوَلَّوا فإنَّما عليه ما حُمِّلَ وعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ، وإنْ تُطِيعُوه تَهْتَدُوا، وما على الرَّسُولِ إلا البَلاغُ المُبِينُ﴾**[1].

وقوله عز من قائل: **﴿وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ ورَسولُهُ أَمْرًا أنْ يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ منْ أَمْرِهِمْ ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسولَه فقدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾**[2].

وقوله عز وجل: **﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عَنْهُ فانْتَهُوا واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ﴾**[3].

فكل هذه الآيات من كتاب الله تعالى تنص صراحةً على وجوب الطاعة الكاملة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم في كل أمر ونهي، وعلى أن هذا الواجب الديني مُلْزِمٌ لكل مسلم ومسلمة، لا يجوز أن يخالفه أو أن يتخلف عنه أحد منهم.

وقد أقسم الله سبحانه بذاته ورُبُوبيتِه في كتابه الكريم على أن صفة الإيمان لا يمكن أن تتحقق لأحدٍ لا يلتزم بهذه المرجعية الإسلامية العليا، ولا يحتكم إليها راضيًا مختارًا في كل ما يعرض له من أمور، أو يشجر بينه وبين غيره من قضايا، حيث يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنون حتى يُحَكِّموك فيما شَجَر بينهم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهم حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليمًا﴾**[4].

(1) سورة النور (54).

(2) سورة الأحزاب (36).

(3) سورة الحشر (7).

وقد جاءت السنة النبوية المشرفة على نفس منهج القرآن الكريم في تقرير هذه المرجعية الإسلامية العليا، وفي أنها لا تكون إلا للوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، فعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خَطَبَ الناس في حَجَّة الوداع، فقال لهم في خُطبَتِه: "**إني قد تَرَكْتُ فيكم ما إنْ اعْتَصَمْتُم به فَلَن تَضِلُّوا أبَدًا؛ كتابَ الله، وسُنَّةَ نَبِيِّه**"[1].

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**عَلَيْكُم بِسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفاء المَهْديين الراشدين من بعدي، تَمَسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ**"[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بنضارة الوجه لمن يَسْتَمْسِكُ بهذه المرجعية الخالدة، ويُمَسِّكُ الناسَ بها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: "**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقالتي، فَوَعَاها وحَفِظها وبَلَّغَها، فَرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفْقَهُ مِنه**"[3].

وانطلاقًا من فهم هذه المرجعية العليا وإدراكها والتسليم بها، وقف إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وقال قولته المشهورة التي أضحت قاعدةً يستندُ إليها الفقهاء والعلماء من بعده، بحيث لا يَشِذُّ عن اتِّباعها أحدٌ منهم في استنباط وتأصيل الأحكام الشرعية: "كلٌّ يؤخَذُ منه ويُرَدُّ إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم".

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن، وأورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(2) أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة، وأخرجه الدارمي، وأحمد، والبزار.

فكل الكلام، وأيًا كان قائلُه، قابلٌ للأخذِ أو الرَّد إلا كلام الوحي الإلهي المعصوم من قرآنٍ أو سُنَّة، فهذا الوحي يؤخذُ كله ولا يُرَدُّ منه شيئًا، بل لا يجوز لأحدٍ أن ينتقي منه ما يوافق رأيه ويَدَعَ منه ما يخالفه، وإلا كان كمن قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿**أَفَتُؤمنون بِبَعْضِ الكِتاب وتَكْفُرون ببعْض، فما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ في الحياة الدنيا ويَوْمَ القِيامة يُرَدُّونَ إلى أشَدِّ العَذاب**﴾[1]، فكل البشر يحتملُ كلامهم الصواب والخطأ والقبول والرد إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم، فكلامه صوابٌ كله، يؤخَذُ جميعه ولا يُرَدُّ منه شيئًا.

ولذلك وجدنا الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان رحمه الله، وكذلك من بعده الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يأمران بترك كلامهما إذا كان مخالفًا لكلامه صلى الله عليه وسلم، فيقول كل منهما لمن سمع كلامه من المسلمين: "إذا خالف قولي قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فاضْرِبُوا به عَرْضَ الحائط".

وبمثل هذا الفهم والالتزام، يذكر الإمام محيي الدين النووي رحمه الله في مقدمة شرحه على كتاب الوسيط للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله أنه قال: إذا وجدتم في كتابي هذا خلاف سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بالسُنَّة ودَعوا قولي.

وفي رواية أخرى عن الإمام الشافعي رحمه الله أيضًا قال: إذا صح الحديث خلاف قولي، فاعملوا بالحديث واتركوا قولي.

كما جاء عنه أنه قال: إذا صَحَّ الحديثُ فهو مذهبي.

ويسير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موسوعته القيمة (مجموع الفتاوى) على هذا المنهج القويم في الاستدلال الشرعي فيقول: ليس لأحدٍ أن يَحْتَجَّ بقول أحدٍ في مسائل النزاع، وإنما الحُجَّةُ النَّصُّ والإجماع، ودليلٌ مُسْتَنْبَطٌ من ذلك تقَرَّرُ مُقدماتُه بالأدلة الشرعية، لا بأقوال بعض العلماء، فإن أقوال العلماء يُحْتَجُّ لها بالأدلة الشرعية، لا يُحْتَجُّ بها على الأدلة الشرعية.

كل هذا يعني أنه إذا ورد في أية مسألة من المسائل دليلٌ من القرآن والسنة، لم يَجُزْ لأحدٍ من الناس أن يقول في هذه المسألة بما يخالف نَصَّ الدليل، فالنص حجةٌ ثابتةٌ لا يُصار إلى غيرها في وجودها، إذ لا اجتهاد في معارضة النص كما يقرر الأصوليون، والله تبارك وتعالى ضَمِنَ لنا العِصْمَةَ في الوحيين الصادقين؛ الكتاب العزيز والسُنَّة المطهرة، ولم يَضْمَنْ لنا العِصْمَةَ فيما سواهما، حتى لو كان ذلك من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء، فالوحيُ حجة لغيره، وليس شيءٌ من غيره حجة له، فكل اجتهاد يعارض أو يخالف نَصًّا صريحًا من نصوص القرآن أو السنة فهو مرفوض نضربُ به عرض الحائط، كما يعلمنا الأئمة الأعلام رحمهم الله.

وتذكر روايات السنة النبوية المشرفة أنه حينما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ليُعَلِّمَ أهلها دين الله تعالى، سأله عن المرجعية التي سوف يحتكم إليها في تعامله مع الناس ومع القضايا التي ستواجهه قائلاً له: "**كيف تقضي إذا عَرَضَ لك قضاء**"؟ قال معاذٌ: أقضي بكتاب الله. قال: "**فإن لم تجد في كتاب الله**"؟ قال: فَبِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "**فإن لم تجد في سنة رسول الله**"؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: "**الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله**"[1].

فلم يلجأ معاذٌ رضي الله عنه إلى الاجتهاد إلا عند غياب النص التشريعي الصادر من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، إذ لا اجتهاد في وجود هذا النص، وقد أَقَرَّهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، وهذا الإقرار النبوي هو تشريع للأمة الإسلامية لا يجوز لأحدٍ أن يَنْقُضَه أو يخالفه إلى قيام الساعة.

هذا، وإن من القضايا التي حسمت هذه المرجعية الإسلامية العليا أمرها بنصوصٍ ثابتة من السنة النبوية المطهرة، قضيةُ زيارة المسلمين لمدينة القدس وللمسجد الأقصى المبارك، وفضل شَدِّ الرِّحال إليهما، وهي قضية لم تكن في يوم من الأيام محل خلاف أو موضع تنازع بين المسلمين، لا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في عصر الصحابة رضي الله عنهم من بعده، وإلى يومنا هذا، إذ إنها تمثل في الثقافة الإسلامية المؤسَّسَة على مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فضيلةً دينيةً لا مِراء فيها، وسُنَّةً نبويةً ثابتةً لا يُجادل فيها إلا جاهلٌ أو منافقٌ أو مُكابرٌ، ولا نجد في تراثنا التاريخي والفقهي الذي جَسَّد ثقافتنا المستمدة من الكتاب الكريم والسنة المشرفة، أيَّةَ إشارة تناقض هذا المفهوم الإسلامي الخالد تجاه شَدِّ الرِّحال إلى بيت القدس، وإلى مسجدها الأقصى المبارك؛ أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

---

(1) أخرجه الترمذي وأبو داود والدارمي وأحمد، وقد صَحَّحَه ابن عبدالبر وابن القيم.

لكننا في هذا العصر الذي اضطربت فيه مفاهيم البعض اضطرابًا مريعًا، واختلطت أفكارهم اختلاطًا مفزعًا أفقدهم توازن الفهم واستقامة الإدراك ورجاحة الوعي، فأصبحت لديهم مرجعياتهم الخاصة، المخالفة لمرجعية القرآن العزيز والسنة المطهرة، وجدنا أنفسنا أمام دعوةٍ غريبةٍ مناقضةٍ لهذه المرجعية الخالدة المعصومة، دعوةٍ تفتي بتحريم زيارة القدس، بتبريرات واهية، وبفلسفات سطحيةٍ فارغةٍ من أي مضمون فقهي أو فهم سياسي، وبما يناقض صريح السنة النبوية المشرفة، ويضر بالقدس المباركة وأهلها ومقدساتها ضررًا بليغاً، في وقت أضحت فيه المدينة المقدسة في دائرة الخطر الشديد أكثر فأكثر، بحيث أصبحت هويتها العربية والإسلامية مهددةً بالضياع والتحريف والتزييف على أيدي المحتلين الإسرائيليين، الذين أصبحوا يَصِلُون الليل بالنهار، ويبذلون الجهود الهائلة والأموال الطائلة من أجل تهويد المدينة المقدسة، وتغيير وجهها الحضاري والإنساني، وإفراغها من أهلها الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين، وعزلها عن عمقها الفلسطيني والعربي والإسلامي، وتكريس أغلبية سكانية يهودية فيها، بحيث يصبح ذلك أمرًا واقعًا يجد العالم نفسه مضطرًا إلى التسليم به والتعامل معه.

لقد وجدنا أنفسنا في هذه الأيام العصيبة القاسية، ويا لِبالِغ الأسف والحزن والأسى، أمام فتوى عجيبة غريبة، جاء بها الشيخ يوسف القرضاوي، وحَرَّمَ فيها على غير الفلسطينيين، منَ العرب والمسلمين، زيارةَ القدس أو الصلاةَ في المسجد الأقصى المبارك، ما داما تحت الاحتلال الإسرائيلي، بدعوى أن في ذلك تطبيعًا مع ذلك الاحتلال واعترافًا به؛ وهي فتوى مُحْدَثَةٌ تُخالف صريح السنة النبوية المشرفة، وتناقض إجماع فقهاء الأمة وعلمائها منذ عهد الصحابة إلى اليوم، ولم يؤثر مثلها، أو حتى قريبًا منها، عن أحدٍ من علماء الأمة المعتبرين، في أية حقبة من حقب التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر، حتى في الأزمنة التي كانت فيها القدس تحت الاحتلال الأجنبي، فوق أن هذه الفتوى العجيبة تتوافق توافقًا تامًا وعجيبًا ومُريبًا مع سياسات الاحتلال الإسرائيلي ومخططاته الرامية إلى إفراغ القدس من أي حضور عربي أو إسلامي، وتمثل بالتالي ضررًا محققًا للمدينة المقدسة وأهلها ومقدساتها.

ونظرًا لما تحمله هذه الفتوى الغريبة المريبة من سقطات واضحة، ومخاطر مؤكدة، وأضرار محققة، سواء من الناحية الدينية الفقهية، أو من الناحية السياسية الواقعية، ولأن أمر هذه الفتوى العجيبة لا يتعلق بأي مكان عادي، إنما يخص مدينة القدس المباركة المقدسة، بكل ما تحمله من قيم دينية وتاريخية وحضارية وسياسية، وبكل ما تمثله من رمزية إسلامية جامعة تخص الأمة الإسلامية والعربية بأسرها، فقد عقدنا العزم، مُسْتَعِينين بالله وَلِيِّ المؤمنين، على التصدي لهذه الفتوى الخطيرة، من خلال بيان الوجه الشرعي الثابت لمسألة زيارة القدس، وفضيلة شَدِّ الرحال إلى أقصاها المبارك، دون إغفال الجانب السياسي والتاريخي لهذه الفضيلة الإسلامية العظيمة، قيامًا بالواجب، وبيانًا للحق، وخدمةً لدين الله سبحانه وتعالى، وإحياءً لسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظًا لمصالح الأمة، وشَحذًا للهمم من أجل أداء الواجب صيانةً لأمانة الدين والتاريخ في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومهد سيدنا المسيح عليه السلام، وقبلة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

# فضائل القدس والمسجد الأقصى

لا خلاف بين المسلمين، الفقهاء منهم والعوام على السواء، على ما للمسجد الأقصى المبارك من الخصائص والفضائل، فهو عند جميع المسلمين جزء لا يتجزأ من عقيدتهم، إذ إليه انتهى إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج المباركة من المسجد الحرام بمكة المكرمة، ومنه كان ابتداءُ معراجه صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى، تكريمًا له وتشريفًا وتعظيمًا، وفيه صلى عليه الصلاة والسلام إمامًا بالأنبياء والمرسلين أجمعين، وفي فضله هذا أنزل الله سبحانه وتعالى قرآنًا يُتلى إلى قيام الساعة آناء الليل وأطراف النهار، إذ يقول سبحانه: **﴿سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِد الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[1].

ويتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه عن معجزة إسرائه من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، فيقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عنه صاحبُه وخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: "**أُتيت بالبّراق، فركبتُ حتى أتيتُ بيتَ المَقْدِس**"[2].

وتُجمع الأمة الإسلامية بأسرها أن في هذه المعجزة الخالدة ربطًا وثيقًا لا انفصام له بين هذين المسجدين العظيمين؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتأكيدًا على مكانتهما وخصوصيتهما في عقيدة

(1) سورة الإسراء (1).

الإسلام وشريعته الخاتمة، وتوثيقًا لعلاقة ملايين المسلمين والمؤمنين بهما إلى قيام الساعة.

ومن علامات فضل بيت المقدس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم التقى فيه بإخوانه من النبيين والمرسلين في ليلة الإسراء المباركة، فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**لَقيتُ إبراهيمَ وموسى وعيسى عند بيت المقدس**"[1].

وقد كان بيت المقدس ومسجدها الأقصى المبارك قبلة الأنبياء الأولين، من لدن آدم عليه الصلاة والسلام، إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما كانا كذلك قِبْلَةَ المسلمين الأولى التي استقبلوها في صلاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقاربُ خمس عشرة سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية، والباقي في المدينة المنورة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين جاء المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا إلى بيت المقدس، ثم أمره الله بالتوجه إلى المسجد الحرام[2].

وبيتُ المقدس هي الأرض المباركة التي ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم فقال: **﴿ونَجَّيْناه ولُوطًا إلى الأرضِ التي بارَكْنا فيها للعالَمين﴾**[3].

وقد ذكر ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الأرض المباركة هي بيت المقدس، لأن الله بعث منها أكثر

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح.

الأنبياء، وهي أرض كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء، طيبة الهواء.

كما ذكر الإمام جلال الدين السيوطي أيضًا أن المراد بذلك بيت المقدس.

وجاء في تفسير ابن كثير عن قتادة بن دعامة أن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان بأرض العراق، فأنجاه الله تعالى إلى الشام، وقد كان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وبها يهلك المسيح الدجال.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور في كتاب التحرير والتنوير عن تفسير معنى الأرض المباركة في هذه الآية: هي أرض فلسطين، ووصفها الله بأنه باركها للعالمين، أي للناس، يعني الساكنين بها لأن الله خلقها أرض خصب ورخاء عيش وأرض أمن.

ومن فضائل بيت المقدس أنها وعد الله لعباده المؤمنين، وذلك في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[1].

وقد جاء في تفسير الإمام القرطبي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالأرض في هذه الآية الكريمة الأرض المقدسة.

كما ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير، وكذلك الإمام السيوطي أقوالاً عدة في المقصود بالأرض في هذه الآية الكريمة، ومن هذه الأقوال أنها الأرض المقدّسة؛ يعني بيت المقدس.

(1) سورة الأنبياء: 105

وجاء في ذلك أيضًا عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرّهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**" قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**"[1].

فهذا الحديث النبوي الشريف يبيّن أن الطائفة المنصورة التي بَشَّرَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ستبقى في هذه البلاد المقدسة إلى قيام الساعة، بحيث لا يضرها عدوان أعدائها، ولا يثنيها عن القيام بواجبها في الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته والجهاد والرباط في سبيله شدة أو ضيق عيش، أو عقبة توضع أمامها، وهذه بشرى طيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرابطين في المسجد الأقصى المبارك، المتمسكين بيت المقدس وأكناف بيت المقدس إلى يوم القيامة، ولن ينحاز إليهم ممن وراءهم من المسلمين، أنهم هم المنصورون بحول الله تعالى وقوّته، وأن أمرهم سيبقى ظاهرًا، ورايتهم ستبقى مرتفعةً حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك.

ومن فضائل بيت المقدس أيضًا أن الله تبارك وتعالى أَقْسَمَ بها في كتابه الكريم، وقرن في هذا القَسَم بينها وبين البلد الأمين مكة المكرمة، تشريفًا لقدرهما معًا، وتأكيدًا على ما لهما جميعًا من الخصوصية والمكانة في ملة الإسلام الخاتمة، حيث قال سبحانه: **﴿والتِّينِ والزَّيْتون وطُورِ سِينين وهذا البَلَدِ الأَمينِ﴾**[2].

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد.

(2) سورة التين (1-3)

قال المفسرون إن المقصود بقوله تعالى في هذه الآيات: ﴿**والزَّيْتون**﴾ أرضُ بيت المقدس، والمقصود بقوله تعالى: ﴿**والبلد الأمين**﴾ مكة المكرمة.

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدثنا عن فضل بيت المقدس ومكانته ومنزلته عند الله تبارك وتعالى فيقول: إن الحَرَم لمحرّم في السموات السبع وبمقداره في الأرض، وإن بيت المقدس لمقدّس في السموات السبع بمقداره في الأرض.

وجاء عنه أيضًا أن الحسنات تضاعف في بيت المقدس كما تُضاعَفُ فيه السيئات.

والمسجدُ الأقصى المبارك ببيت المقدس هو ثاني المسجدين بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة، فإذا كان المسجد الحرام هو أول مسجدٍ وضع للناس لتوحيد الله تعالى وعبادته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للناس لَلَّذي بِبَكَّة مُبارَكًا وهُدىً للعالَمين**﴾[1]، فإن المسجدالأقصى المبارك هو ثاني المساجد التي وُضِعَتْ في الأرض لتوحيد الله تعالى وعبادته، فعن أبي ذَرٍّ الغفاري رضي اللهُ عنه قال: قلتُ يا رَسول الله، أيُّ المساجد وُضِعَ في الأرضِ أولاً؟ قال: "**المسجدُ الحرام**"، قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: "**المسجد الأقصى**"، قلت: كم بينهما؟ قال: "**أرْبَعون عامًا**"[2].

وقد رجح كثير من الحفاظ والعلماء أن الذي بنى هذين المسجدين هم الملائكة بأمر من الله تبارك وتعالى، كما ذهب بعض الحفاظ

(1) سورة آل عمران (96).

كالإمام ابن الجوزي والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم أن آدم عليه السلام هو الذي أسّس كلا المسجدين، وأنه عليه السلام لما بنى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، أَمَرَهُ اللهُ تعالى أن يسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه، فبناه ونَسَكَ فيه، أي عبد اللهَ تعالى فيه، فكان بذلك ثاني المسجدين الذين بُنيا لعبادة الله تعالى وتوحيده، من لدن آدم عليه السلام.

ويمكن القول هنا أن الذي ابتدأ بناء هذين المسجدين هم الملائكة الكرام، ثم جاء آدمُ عليه السلام فأعاد بناءهما ليعبد اللهَ تعالى فيهما.

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يتحدث عن فضل بيت المقدس ومنزلته فيقول: إن الجنة لتحنّ شوقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس، والفردوس الأعلى هو ها هنا ربوةٌ في الجنة، هي أواسط الجنة وأعلاهاوأفضلها.

وهذا المسجد الأقصى المبارك هو كذلك ثالث الحرمين الشريفين، فهو ثالث المساجد في الإسلام من حيث المنزلة والمكانة والفضل بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجدِ الحرام، والمسجد الأقصى، ومَسْجدي هذا**"[1].

وبيت المقدس هي أرض المحشر التي يحشر الله العبادَ إليها يوم القيامة، جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن سَمُرة بن جندب

رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا: **"إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة"**[1].

وقال كعب الأحبار، وهو من التابعين المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وكان من أكثر التابعين علمًا بتاريخ الأمم السابقة، وبالكتب المنزلة قبل القرآن الكريم: إن الله ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين، وقال أيضًا: إن بابًا مفتوحًا من السماء من أبواب الجنة ينزل منه الحنانُ والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة.

وقال أيضاً في فضل القدس ومنزلتها: ما مَثَل بيت المقدس عند الله وسائر الأرضين إلا كمثل رجل له مال كثير وفيه كنز وهو أحبّ ماله إليه، فإذا أصبح لم يطلع على شيء من ماله قبل كنزه ذلك، كذلك رب العالمين في كل صباح لا يطلع في شيء من الأرض قبلها، يُدرّ عليها حنانه ورحمته، ثم يدرّها بعدها على سائر الأرضين.

وقد أورد الإمام ابن الجوزي في كتابه القيِّم (فضائل القدس) عن كعب الأحبار أنه قال: اليومُ في بيت المقدس كألف يوم، والشهر كألف شهر، والسنة فيه كألف سنة، ومن مات فيه فكأنما مات في سماء الدنيا، ومن مات حوله فكأنما مات فيه.

وقال وَهْب بن مُنَبِّه: أهل بيت المقدس جيران الله تعالى، وحق على الله تعالى ألا يعذب جيرانه، ومن دفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه.

---

وذكر ابن الجوزي في فضائل القدس أيضًا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: صخرة بيت المقدس من صخور الجنة.

وأورد كذلك في نفس الكتاب عن كعب الأحبار أن الله عز وجل قال لبيت المقدس: أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي، من سكنك فبرحمة مني، ومن خرج منك فبسخط مني عليه.

وقال عطاء بن أبي رباح في فضل القدس: لا تقوم الساعة حتى يسوق اللهُ خيارَ عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم الله إياها.

ومما جاء في فضائل بيت المقدس أنه أرض المنادي من الملائكة نداء الصيحة لاجتماع الخلائق يوم القيامة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**واستَمِعْ يومَ يُنادِ المنادِ من مكانٍ قريب**﴾[1]، قال قتادة وغيره: كنا نحدَّث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض.

ويُجمع المسلمون كلّهم، على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم وعصورهم، على المكانة المحورية للقدس في العقيدة الإسلامية، وفي وعي أصحاب هذه العقيدة السماوية الخاتمة، فهي كما يقول ابن بطوطة (756هـ): "بيت المقدس شرّفه اللّه، ثالث المسجدين الشريفين في مرتبة الفضل، ومصعد رسول اللّه، ومعراجه إلى السماء".

وفيها يقول شمس الدين المقدسي (375هـ) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: "بلدة جمعت الدنيا والآخرة، فمن كان من أبناء الدنيا، وأراد الآخرة وجد سوقها، وإن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا، وجدها.

---

(1) سورة ق (41)

وأما الحُسن، فلا ترى أحسن من بنيانها، ولا أنزه من مسجدها ... جمع اللّه تعالى فيها فواكه الأغوار، والسهل والجبال، والأشياء المتضادة.

وأما الفضل فلأنها عَرَصة القيامة، أي أرضها وموضعها، ومنها المحشر، وإليها المنشر، وإنما فُضّلت مكة والمدينة بالكعبة والنبيّ صلى الله عليه وسلم، ويوم القيامة يُزَفّان إليها فتحوي الفضل كله.

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن بيت المقدس معناه بيت الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: ودلّت الدلائل المذكورة على أن (مُلْك النبوة) بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يُحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهرَ بالشام، كما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خيرٌ من آخرها، كما أن في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام، كما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

## فضائل زيارة القدس والمسجد الأقصى

عرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الصحابة والعلماء والأولياء ما لبيت المقدس من الفضل والمكانة عند الله تبارك وتعالى، فحرصوا على زيارته والصلاة فيه، وشَدَّ كثيرٌ منهم الرحال إليه، ومن الأنبياء السابقين الذين دخلوا بيت المقدس؛إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وموسى وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم، عليهم جميعًا وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وكان لرسولنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فضل وشرف دخول بيت المقدس بمعجزة الإسراء والمعراج، لكنه ترك لنا من بعده سُنَّةً ماضية إلى قيام الساعة، تبين لنا فضل الزيارة والصلاة في بيت المقدس وفي المسجد الأقصى المبارك، وتحرض المؤمنين أن يحرصوا على ذلك طلبًا للفضل، وابتغاءً للقربى عند الله عز وجل.

وقد جاء عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أَفْتِنا في بيت المقدس، فقال: **"ائتوه فصلّوا فيه** – وكانت البلاد إذ ذاك حرباً – **فإن لم تأتوه وتصلّوا فيه فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله"**[(1)].

(1) حديث صحيح، أخرجه أبو داود.

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب ميمونة رضي الله عنه حين سألته عن بيت المقدس فقال: "**أَرْضُ المحشر والمنشر، ائتوه فَصَلُّوا فيه فإن صَلاةً فيه كألفِ صلاة في غيره**"، فقالت ميمونةُ رضي الله عنها: أرأيْتَ إنْ لم أسْتَطِعْ أن أَتَحَمَّل إليه؟ قال: "**فتُهْدي إليه زَيْتًا يُسْرَجُ فيه، فمنْ فَعَلَ فهو كَمَنْ أتاه**"[1].

وسؤال ميمونة رضي الله عنها ها هنا هو سؤال من يعرف عظمة ما يسأل عنه، ولكنها رضي الله عنها أرادت أن تستزيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم علمًا بفضل بيت المقدس، فأجابها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان الواجب تجاه ما تسألُ عنه، فقال: "**ائتوه فَصَلُّوا فيه**".

ولم تكن الظروف آنذاك مهيأةً لزيارةٍ مُيَسَّرةٍ لبيت المقدس والصلاة فيه، فقد كان يومها أسيرًا تحت حكم الروم، وهو ما قالت عنه ميمونة رضي الله عنها: وكانت البلاد إذ ذاك حربًا، أي كانت دار حرب لا دار إسلام، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يأتوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وأن يقيموا فيه صلاتهم تقربًا إلى الله تبارك وتعالى، دون أن يربط ذلك بكون المدينة تحت حكم المسلمين، أو تحت حكم غيرهم، لأن الفضل في الحالين لا يتغير.

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في بيت المقدس، وأنها أفضل من الصلاة في غيره بخمسمائة ضعف، فيقول في

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد.

حديث رواه أبو الدرداء رضي الله عنه: "**فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة**"[1].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أو عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بيان فضل وقيمة الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، ومنزلته في الإسلام: "**صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى**"[2].

ومن فضائل الخروج إلى بيت المقدس للصلاة في مسجده الأقصى أن ذلك من مكفرات الذنوب والخطايا، فعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون الثالثة؛ فسأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه الله إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلاالصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عزّوجل قد أعطاه إياه**"[3].

ومن فضائل زيارة بيت المقدس أن الانطلاق منه لأداء العمرة سببٌ في مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا، فقد جاء في ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفر له**"[4].

(1) حديث حسن، أخرجه البزار.

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد.

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد.

(4) أخرجه ابن ماجه، وهذا الحديث رغم ضعف إسناده إلا أنه يُعمل به في الفضائل.

وانطلاقًا من هذا الحديث وعملاً به، فإن كثيرًا من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكذلك من التابعين وغيرهم من العلماء والأولياء، قد أَحْرموا وأَهَلّوا بالعمرة والحج من بيت المقدس إلى مكة المكرمة، ومن أشهرهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي جاء عنه أنه أَحْرَمَ وأَهَلَّ من إيلياء، أي بيت المقدس[1].

كما تذكر الروايات أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أحرم بالحج والعمرة من بيت المقدس، وكذلك فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومحمود بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه.

وجاء عن أم حكيم حكيمة بنت أميّة السّلمية رحمها الله، وهي التابعية التي روت هذا الحديث عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أنها ركبت عند سماعها هذا الحديث إلى بيت المقدس حتى أَهَلّت منه بعمرة.

وفعل ذلك أيضًا وكيع بن الجراح رحمه الله، حيث قال عنه أبو داود السجستاني بعد روايته لهذا الحديث: "يرحم الله وكيعاً أحرم من بيت المقدس يعني إلى مكة".

وفي فضل القدوم إلى بيت المقدس والإقامة فيه جاء عن ذي الأصابع رضي الله عنه، وهو صحابيٌّ اسمه ثوبان بن يَمرد التميمي، قال: قلت: يا رسول الله، إن ابْتُلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: "**عليك ببيت المقدس، فلعله أن يُنشأ لك ذُرِّيَةٌ يَغْدُون إلى ذلك المسجد ويَرُوحون**"[2].

(1) أخرجه أبو داود، والبيهقي في السنن الكبرى.

(2) أخرجه أحمد.



فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يقول ناصحًا وموجهًا لمن بعده من أمته: "**عليك ببيت المقدس**"، لأن خير القدوم إلى القدس لا يقتصر على الإنسان في نفسه فحسب، بل يتعدى ذلك إلى ذريته من بعده: "**فلعله أن يُنشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون**".

وقد ثبت أن ذي الأصابع رضي الله عنه قد أقام ببيت المقدس امتثالاً لهذا التوجيه النبوي، وأنه رضي الله عنه ظل يسكن بيت المقدس حتى مات ودُفن بها.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن بيت المقدس: "**لَنِعْمَ المُصَلِّي في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط، أو قال: قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب إليه من الدنيا جميعاً**"[1].

فإذا كان مجرد الاقتراب من بيت المقدس ولو إلى مسافة مَدِّ البصر خيرًا وأحبَّ من الدنيا وما فيها، فكيف بشد الرحال إليه؟ وكيف بدخوله والصلاة فيه؟

وقد جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من حج وصلى في المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

ومن فضائل بيت المقدس أنه كان مدينة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويحدث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن ذلك فيقول:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان.

بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعَمَرته، ومافيه شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي، فلعل جبهتك أن تواڤي جبهة ملك أو نبي.

والصدقة في بيت المقدس مضاعفةُ الأجر والثواب، فقد جاء عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال في فضل بيت المقدس: من تصدق في بيت المقدس بدرهم كان فداؤه من النار ومن تصدق برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهبًا.

وصيام يومٍ واحدٍ في بيت المقدس براءةٌ من النار، حيث جاء عن مقاتل رحمه الله أنه قال: من صام يومًا في بيت المقدس كان له براءة من النار.

ويذكر الحافظ ابن الجوزي في كتابه فضائل القدس بسنده عن مكحول، قال: "من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة، وزاره جميع الأنبياء، وغبطوه بمنزلته من الله عز وجل، وأيما رفقة خرجوا يريدون بيت المقدس شيعهم عشرة آلاف من الملائكة يستغفرون لهم ويصلون عليهم، ولهم مثل أعمالهم إذا انتهوا إلى بيت المقدس، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكاً".

ولفضل القدس ومكانتها في الإسلام، فقد حرص كثيرٌ من العلماء والفقهاء أن يكتبوا الكتب ويؤلّفوها في فضائل المدينة المقدسة، إقرارًا بمكانتها المتميزة في الثقافة الإسلامية القائمة على مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وتشويقًا للمسلمين إلى زيارتها والرباط فيها.

**ومن أشهر الكتب المؤلفة في فضائل بيت المقدس:**

(1) فضائل بيت المقدس للإمام المشرف بن المرجي المقدسي وهو من علماء القرن الخامس الهجري.

(2) فضائل بيت المقدس للإمام أبي بكر محمد بن أحمد الواسطي وهو من علماء القرن الخامس الهجري.

(3) فضائل القدس للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (597هـ).

(4) الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى للإمام الحافظ بهاء الدين أبي القاسم بن عساكر (600هـ).

(5) الأنس في فضائل القدس أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي (603هـ).

(6) مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس للإمام أبي القاسم عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث الاسنائي القوصبي (625هـ).

(7) فضائل بيت المقدس للحافظ ضياء الدين المقدسي (643هـ).

(8) فضائل بيت المقدس وفضائل الشام للإمام إبراهيم بن يحيى المكناسي، وهو من أعلام القرن السابع الهجري.

(9) الروض المغرس في فضائل البيت المقدس لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب الحسيني.

(10) رسالةٌ شريفةٌ في زيارة بيت المقدس لشيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ).

(11) باعث النفوس الى زياره القدس المحروس لابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم المشهور بابن الفركاح الفزاري (729هـ).

(12) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لبرهان شهاب الدين أبي عمرو بن تميم المقدسي (795هـ).

والملاحظ هنا أن أكثر هذه الكتب قد تم تأليفها ونشرها بين المسلمين في فترة الاحتلال الصليبي للقدس، الذي استمر ما يقارب ثمانٍ وثمانين سنة، ما بين عام 492 هجري وعام 570 هجري أو ما بعدها بقليل، أي في الفترة التي كانت فيها القدس أكثر احتياجًا لوجود المسلمين في ربوعها وبين أهلها من أي وقت آخر، بسبب المخاطر التي كانت تحدق بها بسبب الحروب والأطماع الصليبية، التي كانت تستهدف في الأساس احتلالها والقضاء على الوجود العربي والإسلامي، وحتى المسيحي العربي فيها، لكن أيًا من هذه الكتب لم يتضمن منعًا أو تحريمًا لزيارتها على من استطاع إلى ذلك سبيلاً من المسلمين، بذريعة وقوعها في قبضة المحتلين الغرباء، الذين عاثوا فيها فسادًا، وعملوا على منع إقامة الصلاة في مسجدها الأقصى المبارك.

# شدوا الرحال إلى بيت المقدس

لقد شرع الإسلام للمسلمين جميعًا، رجالاً ونساءً، شيوخًا وشبابًا، عربًا وعجمًا، أن يشدوا الرحال إلى ثلاثة مساجد، تمثل رموزًا للإسلام في هذا العالم، وهي المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى المبارك بالقدس، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المَسْجِدِ الحَرَامِ، والمَسْجِدِ الأَقْصَى، ومَسْجِدِي هذا"**[1].

وقد حافظ المسلمون على العمل بهذه السنة العظيمة قرونًا متتالية، منذ عصر الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مرورًا بعصور التابعين وتابعيهم ومن جاء من بعدهم، حتى إنه لا يكاد يخلو عصر من أناس شدُّوا رحالهم إلى القدس الشريف، يلتمسون فيه البركة والتقوى، ويعملون فيه بسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، مؤكدين ارتباطهم الإيماني بهذه المدينة المباركة وبمسجدها الأقصى.

لكن المسلمين في هذه الأيام العصيبة لم يعودوا يشدون رِحالَهم إلا إلى مسجدين فقط من هذه المساجد الثلاثة، وهما المسجد الحرام والمسجد النبوي، حيث امتُنعوا عن شَدِّ الرحال إلى المسجد الثالث، وهو المسجد الأقصى المبارك، منذ أن وقعت القدس في قبضة الاحتلال

(1) متفق عليه.

الإسرائيلي عام 1967م، حتى كاد هذا المسجد المبارك يطويه النسيان، إذ لم يعد أحدٌ ينادي بتطبيق سنة شَدِّ الرحال إليه إلا الشعب الفلسطيني المرابط فيه وفي أكنافه المباركة، ومعهم بعض من رَحِمَ الله من علماء المسلمين وفقهائهم.

وقد وجد الاحتلال الإسرائيلي في انقطاع العرب والمسلمين عن شد الرحال إلى بيت المقدس ومسجدها الأقصى، وسكوتهم عن المطالبة بهذا الحق الديني المشروع، ضالته المنشودة، وفرصته السانحة ليقوم بتنفيذ مخططاته الرامية لتهويد المدينة المقدسة، والقضاء على الوجود العربي والإسلامي فيها، أو اختزاله إلى أقل قدر ممكن، الأمر الذي يجعلنا ندق ناقوس الخطر بعنف، كما فعل علماؤنا وفقهاؤنا السابقون في فترة الحروب الصليبية كما تقدم معنا، من أجل أن تعيد الأمة بناء حالة إبداعية قوية من التواصل المادي والمعنوي مع مدينة القدس ومسجدها الأقصى المبارك، والمرابطين فيه وفي أكنافه المباركة، عبر إعادة إحياء سنة شَدِّ الرحال إلى أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقبلته الأولى وقبلة الأنبياء والمرسلين من قبله، رغم عدوان الاحتلال الإسرائيلي، ورغم كل العراقيل والعقبات التي يتعمد هذا الاحتلال وضعها في وجه زائري المدينة المقدسة، حتى يعزلها عن عمقها الإسلامي والعربي والفلسطيني.

إننا ندعو لزيارة القدس اليوم، وإلى طرق كل السبل من أجل القيام بهذا الحق المشروع، رغم أن المدينة المقدسة واقعةٌ تحت الاحتلال



الإسرائيلي الظالم المعتدي، ورغم ما يعانيه أهلها المقيمون فيها وفي أكنافها من عراقيل الاحتلال التي تحول بينهم وبينها، ورغم ما قد يواجه العربَ والمسلمين الراغبين في زيارتها أيضًا من عقبات وصعوبات وعراقيل في هذه الزيارة المقدسة.

إن دعوتنا هذه التي نوجهها لجميع العرب والمسلمين القادرين على شَدِّ الرحال إلى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، لكي يشدوا الرحال إليه، تتأسس على ثلاثة أُسسٍ، وتقوم على ثلاثة مرتكزات، نبني عليها موقفنا ودعوتنا في تأصيل هذه الزيارة المقدسة؛ شرعيًا، وسياسيًا، وتاريخيًا:

**الأساس الأول: الشرعية الدينية:**

تؤكد جميع الأدلة الشرعية الثابتة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وكذلك إجماعُ المسلمين على مر الأزمنة والعصور، منذ عهد الصحابة الأخيار رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى عصرنا الحاضر، أن زيارة القدس هي فضيلةٌ دينيةٌ مشروعةٌ، وحقٌ دينيٌّ مُقَدَّسٌ في كل وقت وحين، لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، لا يمنع من ذلك إلا ظالم متكبر، ولا يقول بغيره إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوى.

ومن أهم هذه الأدلة الشرعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي تُشَرِّعُ زيارة القدس، وتدعو إلى ذلك وتحبب فيها، الأحاديث النبوية التالية:

**الحديث الأول**: ما جاء عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس وزيارته فقالت: يا رسول الله أَفْتِنَا في بيتِ المقدس، فقال: "**ائتوه فصلّوا فيه** – وكانت البلاد إذ ذاك حرباً – **فإن لم تأتوه وتصلّوا فيه فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله**"[1].

فهذا الحديث النبوي الشريف يتضمن أمرًا دينيًا واضحًا وصريحًا من النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين كافة بالمجيء إلى بيت المقدس وزيارته وشَدِّ الرحال إليه، حيث يقول صلى الله عليه وسلم جوابًا منه على سؤال ميمونة رضي الله عنها عن بيت المقدس: "**ائتوه فصلّوا فيه**".

ونستطيع هنا أن نلاحظ بكل يسر ووضوح أن هذا التوجيه النبوي الشريف غير مرتبط بوقت دون آخر، وهو لا يتعلق ببلدٍ دون آخر، أو بشعبٍ دون آخر، بدليل أنه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كانت القدس ترزح تحت الاحتلال الروماني، ولم تكن تحت السيادة الإسلامية؛ يشهد على ذلك قول ميمونة رضي الله عنها في روايتها للحديث: "وكانت البلاد إذ ذاك حربًا"، أي كانت القدس في ذلك الوقت دار حرب،وكانت تحت سيطرة قوة معادية للإسلام والمسلمين، ولم تكن دار إسلام، أي لم تكن تحت الحكم الإسلامي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يربط زيارتها في هذا الحديث بتغير صفتها من دار حرب إلى دار إسلام، أي بانتقالها من سيطرة غير المسلمين إلى سيادة المسلمين، بل أمر صلى الله عليه وسلم بزيارتها أمرًا مطلقًا إذا توفرت الاستطاعة للمسلم أن يزورها، بدليل أن ميمونة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم، كما في رواية أخرى عند ابن ماجه، وقد ذكرها الحافظ ابن رجب في رسائله، والحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية، والوادعي في الصحيح المسند وصححه: يا رسول الله، أرأيتَ إنْ لم أستطع أن أَتَحَمَّل إليه؟ أي إن لم تستطع الوصول إلى بيت المقدس، فكان سؤالها منصرفًا فقط إلى حالة عدم الاستطاعة، بما يعني أن المانع الشرعي الوحيد الذي يمكن أن يكون مبررًا للامتناع عن الزيارة هو عدم القدرة، أما غيره من الموانع فغير معتبر شرعًا كما يفهم من هذا الحديث الشريف، وإلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره وبَيَّنه للمسلمين.

إن زيارة القدس وفقًا لهذا الحديث الشريف هي حقٌ مشروع للمؤمنين لا يمنعهم منه إلا ظالم، ولا يقول بغيره إلا مُفْتَرٍ كذاب، وهذا الحق لا يمنع من القيام به إلا عدم القدرة على القيام به، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، أما مع توفر هذه القدرة، فمن استطاع من المسلمين والمسلمات أن يشد الرحالَ إلى بيت المقدس وأقصاها المبارك فليفعل؛ حقًا مشروعًا وفضيلة دينية، وليضرب المسلمون أكباد المطايا من كل فَجٍّ عميق، وليتجاوزوا كل الحدود المصطنعة، وليتخذوا جميع السبل والوسائل من أجل أخذ هذا الحق الشرعي، في زيارة القدس ومسجدها الأقصى المبارك، وأداء العبادة والصلاة فيه، دونما نظر إلى أي اعتبار آخر يناقض أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

**الحـــديث الثـــاني**: مـا جـاء عـن أبـي سـعيد الخـدري رضـي الله عنه، وكـذلك رواه أبـو هـريـرة رضـي الله عنـه، أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قـال: "**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المـــسجدِ الحـــرام، والمسجد الأقصى، ومَسْجدي هذا**"[1].

وهـذا الحـديث أيضًا ينص صـراحةً علـى مشروعية زيـارة القـدس، وعلـى الحق في دخولها لكـل مسلم ومسلمة، حقًا عامًا مطلقًا، تمامًا كحقهـم في زيـارة المـسجد الحـرام والمـسجد النبـوي الـشريف، وهـذه المساجد الثلاثة قد ارتبطت بعقيدة المسلمين إلى قيـام الـساعة، وتميـزت عن غيرها من المساجد بأن الرحال لا تُشَدُّ إلا إليها.

قـال الإمـام الحـافظ ابـن حجـر العـسقلاني رحمـه الله: وفي هـذا الحـديث فـضيلة هـذه المـساجد ومزيتهـا علـى غيرهـا لكونهـا مـساجد الأنبياء، ولأن الأول - أي المسجد الحرام- قبلة النـاس وإليـه حجهـم، والثـاني - أي المـسجد الأقـصى- كـان قبلـة الأمـم الـسالفة، والثالـث - أي المسجد النبوي- أُسِّسَ على التقوى.

وقد قال السادة الشافعية في ذلك إن الفضيلة التامة إنما هـي في شد الرحال إلى هذه المساجد، بخلاف غيرها فإنه جائز ولكن لا يعزم عليه.

ويقـول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة في هـذا الحـديث: وهـو حـديثٌ مُسْتَفيضٌ مُتَلَقّى بالقبول، أجمعَ أهـلُ العلم علـى صـحته وتلقيهِ بـالقبول والتصديق.

ويقول أيضًا: واتفقَ علماء المسلمين علـى استحباب الـسفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القـرآن والاعتكاف.

ويقول كذلك: وأما زيارة بيت المقدس فمشروعةٌ في جميع الأوقات.

ويقـول الإمـام الحـافظ تَقِـيُّ الـدين الـسُّبْكي رحمـه الله: لـيس في الأرض بُقْعةٌ لها فضلٌ لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البـلاد الثلاثـة، ويقصد مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس المباركة.

فمـا دام رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـد قَـصَرَ مـشروعية شَـدِّ الرِّحال إلى المساجد على هـذه المـساجد الثلاثـة، فكأنـه بدلالـة المفهـوم من الحديث يحث المسلمين على شَدِّ الرحال إليها لما فيها من الفـضائل، ولمـا لهـا مـن المكانـة والخـصوصية، وهـو مـا دَلَّـتْ عليـه أحاديـث أخـرى بدلالـة المنطـوق والمفهوم معًا، ودونمـا أيـة قيـود، فـالنص عـام في جميـع الأوقات والأحوال والظـروف، ولا يمكـن أن يُخَصِّصَه إلا مُخَصِّصٌ مـن نوعه، ومع انتفاء المخصص يبقى الحديث على عمومه.

**الحديث الثالـــث**: مـاروى ذو الأصـابع رضـي الله عنـه قـال: قلـت: يـا رسـول الله، إن ابْتُلينـا بعـدك بالبقـاء أيـن تأمرنـا؟ قـال: "**عليـــك بيـــت المقدس، فلعله أن يُنشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون**"[1].

وهذا الحديث لا يوصي بالسفر إلى بيت المقـدس وشـد الرحـال إليـه بقصد زيارته والصلاة فيه فحسب، بل يحث على الرحيل إليـه والإقامـة

---

(1) أخرجه أحمد

فيه طلبًا لبركته، والرحيل إلى مكانٍ ما من أجل الاستقرار فيه هو أشدُّ صعوبةً من مجرد زيارته، لأنه يتطلب استعدادات خاصة ومتعددة تشمل المسكن والعمل والمعيشة.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثُّ على الأمر الأصعب، فالأسهلُ وهو الزيارة آكد، حتى لا يفوت المسلم فضل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم حين أجاب ذا الأصابع عن أفضل مكان يوصيه بالرحيل إليه من بعده: "**فلعله أن يُنشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون**".

**الحديث الرابع**: ما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بيت المقدس: "**لَنِعْمَ المُصَلّي في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط، أو قال: قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب إليه من الدنيا جميعاً**"[1].

ووفقًا لهذا الحديث فإن مجرد الاقتراب من بيت المقدس، أي إلى محيطه وأكنافه، ولو إلى مجرد المسافة التي يمكن للمسلم أن يراه منها، خير له من الدنيا وما فيها، فكيف بزيارة هذا البيت المطهر المشرف والدخول إليه والصلاة فيه؟

إن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لكل هذه الفضائل المتعلقة ببيت المقدس وزيارته والصلاة فيه، إنما هو تشويق لقلوب المؤمنين، واستنهاض لهمم المسلمين من أجل أن يشدوا الرحال إلى هذه المدينة

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

المباركة، وأن يعمروها بالصلاة والعبادة والعلم والرباط، وأن يجعلوا منها مع المدينتين المقدستين الأخريين؛ مكة المكرمة والمدينة المنورة، مهوى أفئدتهم، ومركز اهتمامهم الديني والدنيوي، لأن هذه المدائن الثلاث إنما هي في حقيقتها رموز الأمة الإسلامية في هذا العالم، وعنوان عقيدة وشريعة وحضارة الإسلام، وهي بهذه الصفات والمعاني أمانةٌ لازمةٌ في أعناق كل الموحدين، لابد لهم من صيانتها وحمايتها وإعمارها ماديًا ومعنويًا، لكي تظل عنوانًا للإيمان والتوحيد في هذا العالم، ولكي تبقى قناديلها مسرجةً على كَرِّ الأيام ومَرِّ الليالي.

إن زيارة بيت المقدس، وشد الرحال إلى أقصاها المبارك إنما هو إحياءٌ لسُنَّة نبويةٍ عظيمةٍ يريد لها البعض أن تندرس وتختفي من حياة الأمة الإسلامية، بل لقد مرت على الأمة عقود حالكة منذ وقوع القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي، لم تعد الأمة على الصعيد العملي تكترث بهذه السنة النبوية الماضية، وفي هذا تضييعٌ للسنة، وتضييعٌ للقدس كذلك، وكفى بهذا إثمًا وفسادًا في الأرض.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على إحياء سنته في الناس، ويَعِدُ من يفعل ذلك بأجرٍ جزيل من الله تبارك وتعالى، فقد جاء عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من أحيا سُنَّةً من سنتي فعمل بها الناسُ كان له مثلُ أجْرِ من عمل بها لا يُنقص من أجورهم شيئًا**"[1].

(1) [illegible]

وجاء عنه وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من أحيا سُنَّةً من سنتي قد أُميتتْ بعدي فإن له من الأجْرِ مثل من عمل بها من الناس لا يُنقص ذلك من أجورهم**"[1].

## الأساس الثاني: الشرعية التاريخية:

لقد عرف المسلمون حقهم الثابت والمؤكد في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس، كما عرفوا القيمة الدينية والتاريخية والسياسية للمدينة المقدسة، وواجبَهم المقدسَ نحوها، فشدوا إليها رحالهم، وجاؤوها من كل فجٍّ عميق، آحادًا وجماعات، يؤكدون فيها حقهم الديني والتاريخي، ويلتمسون فيها البركة والثواب.

ولا تكاد تخلو حقبة من حقب التاريخ الإسلامي من أعلامٍ وعلماء وأولياء وفقهاء شَدُّوا الرحال إلى هذا البيت المقدس، منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان إلى عصرنا الحاضر.

فقد حرص أعيان الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك التابعون من بعدهم على شد الرحال إلى بيت المقدس، في كل وقت وحين، ولم يُقَيِّد أحدٌ منهم، أو من العلماء الذين جاءوا من بعدهم، زيارته لبيت المقدس بأية قيود غير القدرة والاستطاعة، فكل من استطاع منهم أن يأتيه كان شديد الحرص على زيارته، بل لقد كان بعضهم كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كما تقدم معنا، يحرص على أن يأتي بيت المقدس ليُحرِمَ بالعمرة منه إلى المسجد الحرام، التماسًا

(1) أخرجه الترمذي في السنن، والبغوي في شرح السنة، وإسناده حسن.

لفضل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفر له**"[1].

وجاء أن معاذ بن جبل رضي الله عنه شَدَّ الرِّحال حتى أتى بيت المقدس، فأقام به ثلاثة أيام ولياليها يصوم ويصلي، فلما خرج منه وكان على الشرف، وهو مكان مرتفع، أقبل على أصحابه فقال: أمّا ما مضى من ذنوبكم فقد غفر الله تعالى لكم، فانظروا ما أنتم صانعون في ما بقي من أعماركم.

ومن أشهر من جاء بيت المقدس من الصحابة رضوان الله عليهم: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، وأبو الدرداء عُوَيمر بن عجلان رضي الله عنه، وسعيد بن زيد رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وسمرة بن جندب رضي الله عنه، وسلمان الفارسي رضي الله عنه، وخالد بن الوليد رضي الله عنه، وعياض بن تميم رضي الله عنه، وعبد الله بن سلام رضي الله عنه، ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وأبو هريرة رضي الله عنه، وأبو أمامة صُدَي بن عَجْلان رضي الله عنه، وأبو مسعود عتبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وأبو جمعة الأنصاري رضي الله عنه، وشدّاد بن أوس رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأبو ريحانة القرظي رضي الله عنه، وتميم بن أوس الداري رضي الله

(1) أخرجه ابن ماجه، وهذا الحديث رغم ضعف إسناده إلا أنه يُعمل به في الفضائل.

عنه، والشّريد ابن سويد رضي الله عنه، وعبد الله بن أبي الجدعاء التميمي رضي الله عنه، وأبو عبد الله فيروز الديلمي رضي الله عنه، وذو الأصابع التميمي رضي الله عنه، وأبو محمد النجّاري رضي الله عنه، وأُبَيّ بن أبي حرام رضي الله عنه، وأبو أُبَيّ عبد الله بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وسلامة بن قيصر رضي الله عنه، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وأبو نُعَيم محمود بن الربيع رضي الله عنه، وغضيف بن الحارث رضي الله عنه، وأم المؤمنين صفية بنتحُيَي رضي الله عنها.

فهؤلاء الصحابة الذين زاروا بيت المقدس وشدوا الرحال إليه، لم يكن أحدٌ منهم يمتنع عن زيارته إلا أن لا يكون قادرًا، كما قالت ميمونة رضي الله عنها، وهؤلاء الصحابة الكرام هم سلفنا الصالح الذين حملوا الإسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بعدهم من أجيال المسلمين، فهم قدوةٌ دينية وتاريخيةٌ لنا في فهم الإسلام، والعمل بأحكامه، واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حرص عدد من الصحابة على الإقامة والسكنى في بيت المقدس، ومنهم من أقام بها حتى وافته منيته فيها، ومن هؤلاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وشداد بن أوس رضي الله عنه، وقد دُفنا في جوار المسجد الأقصى المبارك، وقبراهما ظاهران يزاران بجانب السور الشرقي للمسجد، في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الأسباط، كما سكن بيت المقدس من الصحابة ذو الأصابع التميمي رضي الله عنه.

وعلى نهج الصحابة في الحرص على زيارة بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، بل والإقامة فيها، سار التابعون ومن بعدهم، فشدوا الرحال إليها إحياء لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وطلبًا لبركة وفضل الزيارة والإقامة في القدس، فكان من أشهر أولئك التابعين الذين جاؤوا بيت المقدس: كعب الأحبار، وعبيد عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بيت المقدس، وعمير بن سعيد، ويَعْلَى بن شدّاد بن أوس، وجُبير بن نُفير الحضرمي، وأبو نُعَيم المؤذن، وأبو الزبير المؤذن، وأبو سلاّم ممطور الحبشي، وعبد الرحمن بن تميم الأشعري، وقَبيصَة بن ذُؤَيب، وعبد الله بن مُحَيريز، وهانئ بن كلثوم، وعبد الملك بن مروان، وعمرين عبد العزيز، ومحارب بن دِثَار، وعبد الله بن فيروز المقدسي، ورجاء بن حيوة، ومحمدبن واسع، وزيادة بن أبي سودة، وأخوه عثمان، وأبو المعتمر التميمي، وسليمان بن طرخان، ومقاتل بن سليمان، وأم الدرداء الصغرى – واسمها هُجَيمة– ورابعة العدوية رحمهم الله تعالى جميعاً.

وفي تاريخ فلسطين المعاصر، شهدت القدس حدثًا تاريخيًا بارزًا يؤكد ارتباط المسلمين بها، وحرصهم على شد الرحال إليها مهما كانت الظروف، ومهما عظمت الأهوال والصعاب، فكان انعقاد المؤتمر الإسلامي العام في مدينة القدس في السابع والعشرين من شهر رجب عام 1350 هجري، الموافق السابع من شهر كانون الأول/ديسمبر 1931 ميلادي، وكانت القدس وفلسطين ترزح حينها تحت وطأة الاحتلال البريطاني الذي بدأ منذ عام 1917م، حيث عقد هذا المؤتمر الإسلامي الجامع في المسجد الأقصى المبارك، تحت مراقبة متحفزة مغتاظة من سلطات الاحتلال البريطاني، التي كان مندوبها

السامي يتخذ من أعلى جبل المكبر مقرًا له، وكان ذلك المقر يشرف على ساحات المسجد الأقصى المبارك مباشرة، حيث تواجد العلماء المشاركون في المؤتمر طوال أيام انعقاده.

وقد حمل هذا المؤتمر اسم "مؤتمر العالم الإسلامي الثاني"، حيث كان المؤتمر الأول قد عقد بمكة المكرمة سنة 1926 ميلادي، بدعوة من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله.

وقد كان عقد هذا المؤتمر بدعوة من مفتي القدس وفلسطين الحاج أمين الحسيني رحمه الله، وبمشاركة أكثر من مائة وخمسين من أعلام الأمة وعلمائها، جاءوا من أكثر من عشرين دولة عربية وإسلامية، بهدف توثيق صلة المسلمين بالقدس، وتنبيههم إلى المخاطر التي تهدد القدس والمسجد الأقصى المبارك وفلسطين، واستغرقت جلساته عشرة أيام كاملة، رغم وجود الاحتلال البريطاني في المدينة المقدسة.

وجاء في نص الدعوة التي أرسلها الحاج أمين الحسيني أن فريقاً "من أهل الرأي النافذ والغيرة الحافزة من أهل هذه البلاد وغيرها من الأقطار الإسلامية" ارتأى "القيام بدعوة واسعة النطاق لعقد مؤتمر إسلامي عام في بيت المقدس يُدعى إليه أعيان الأمة وكبراء رجالها من سائر الأقطار الّذين عهدت فيهم الغيرة والحمية والعلم الصحيح والرأي السديد والبصر النافذ للبحث في حالة الأمة الحاضرة، وفي صيانة الأماكن المقدسة الإسلامية من الأيدي الممتدة الطامعة بها، وفي شؤون

**ومن أبرز الشخصيات الإسلامية التي شاركت في هذا المؤتمر:**

| | |
|---|---|
| الحاج أمين الحسيني مفتي القدس وفلسطين وزعيمها | فلسطين |
| الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر | مصر |
| الشيخ عبد العزيز الثعالبي أحد أعلام الجهاد التونسي ضد الاستعمار | تونس |
| الشيخ العلامة محمد رشيد رضا | مصر |
| الشيخ شوكت علي أحد أبرز علماء الهند | الهند |
| السيد شكري القوتلي، الذي أصبح لاحقًا رئيسًا لسوريا | سوريا |
| السيد رياض الصلح، أول رئيس وزراء لبناني بعد الاستقلال | لبنان |
| السيد سعيد الجزائري، حفيد المجاهد عبد القادر الجزائري | سوريا |
| السيد محمد علي علوبة، وزير الأوقاف المصري | مصر |
| السيد محسن الأمين، من علماء جبل عامل | لبنان |
| الشيخ أحمد عارف الزين، كاتب وصحفي | لبنان |
| الشاعر الإسلامي محمد إقبال | الهند |
| السيد موسى كاظم الحسيني | فلسطين |
| السيد صلاح الدين الطباطبائي | إيران |
| السيد عبد الرحمن عزام | مصر |
| المرجع الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء | العراق |
| الشيخ محمد عزة دروزة | فلسطين |
| السيد أحمد حلمي عبد الباقي | فلسطين |
| الشيخ مفتيح سالم رئيس مجلس علماء البوسنة والهرسك | البوسنة |
| الشيخ خير الدين الزركلي المؤرخ السوري المعروف | سوريا |
| السيد عجاج نويهض | لبنان |
| السيد كامل القصاب، ممثلاً عن الملك عبد العزيز آل سعود | السعودية |
| السيد محمد بن محمد زيارة ممثلاً لإمام اليمن | اليمن |

وخلال انعقاد جلسات المؤتمر، قام وفد يمثل المسيحيين في فلسطين بزيارته، وأعلن تأييده لما يصدر عنه من مقررات، تأكيدًا على وحدة الموقفين الإسلامي والمسيحي من حماية القدس وصيانتها والحفاظ على هويتها العربية الإسلامية.

إن هذه الزيارات التاريخية للقدس وللمسجد الأقصى، والتي قام بها صحابةٌ وتابعون وعلماء مشهود لهم بالعدالة والفقه والعلم، وتحت ظروف متباينة ومتعددة، تمثل أساسًا تاريخيًا يقتدي به اللاحقون من أبناء الأمة من أجل أن يشدوا الرحال إلى أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، وبالذات في هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها القدس، وذلك تأكيدًا للحق العربي والإسلامي في المدينة المقدسة، ولتحقيق الصلة المادية والمعنوية بمقدساتها الخالدة.

**الأساس الثالث: الشرعية السياسية:**

تمثل القضية الفلسطينية عمومًا، وفي القلب والصدارة منها قضية القدس خصوصًا، نقطة الارتكاز الأساس في الوعي العربي والإسلامي المعاصر، ليس بسبب مركزيتها الدينية فحسب، بل بما تمثله أيضًا من بؤرة صراع ومواجهة حضارية وسياسية مع الاستعمار الأجنبي، الذي يستهدف إضعاف الأمة والسيطرة على مقدراتها وقرارها، ومنعها من النهوض واستعادة ذاتها.

ومنذ نكبة فلسطين عام 1948 ميلادي، ثم احتلال القدس الشرقية عام 1967 ميلادي، والشعب الفلسطيني يقف في خندق المواجهة الأول مع المشروع الاستعماري الإسرائيلي، وهو في هذه المواجهة لا يجوز أبدًا أن يبقى وحيدًا، أو أن يشعر بأنه وحيد، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تَفْعلوه تَكُنْ فتنــةٌ في الأرض وفسادٌ كبير**﴾[1].

ومن هنا تأتي الأهمية والأولوية السياسية لحضور العرب والمسلمين، أفرادًا وجماعات، إلى مدينة القدس، إذ إن في مثل هذه الزيارات مصالح سياسية واقتصادية ومعنوية عدة تجعل منها ضرورةً سياسيةً يجب أن يعمل الجميع من أجل تحقيقها:

❖ في زيارة القدس والمسجد الأقصى تأكيد عملي للحقوق العربية والإسلامية في المدينة المقدسة ومقدساتها، وتثبيت لهذه الحقوق في الوعي العالمي، حتى يعلم الناس جميعًا أن القدس ومقدساتها ليست لقمة سائغة للاحتلال يلتهمها كيفما يشاء، وأنها تخص جميع العرب والمسلمين والمسيحيين في مشارق الأرض ومغاربها، وأنها خط أحمر للعرب والمسلمين جميعًا، وليس للفلسطينيين فحسب، وأن أحدًا لا يستطيع ولا يملك الحق في منعهم من الوصول إليها، وأداء الواجب الديني والحضاري فيها.

إن الواقع الذي تعيشه مدينة القدس اليوم هو واقع مؤلمٌ وخطير، فأرض القدس تسرق من بين أيدي أهلها، والاحتلال الإسرائيلي يعمل بلا كلل ولا ملل، وباستخدام أبشع الوسائل وأخطرها، على تنفيذ مؤامرة التهويد ضد المدينة المقدسة، عبر العمل على محو وإزالة طابعها العربي والإسلامي، وتغيير معالم المدينة الجغرافية والسكانية، وتطويقها من جميع الجهات بالحواجز والجدران العازلة، التي تفصلها عن محيطها الفلسطيني، وتعمل على إلغاء

(1) سورة الأنفال (73).

دورها كمركز حضاري ديني وإنساني.

ومن هنا، فإن التواصل العربي والإسلامي مع فلسطين والفلسطينيين عمومًا، ومع مدينة القدس وأهلها على وجه الخصوص، هو دعم لهويتها العربية والإسلامية، وتأكيد على مركزيتها الدينية والحضارية والسياسية في الوعي والوجدان العربي والإسلامي، حتى يعلم العالم أجمع أنه لا تفريط بالقدس، ولا تنازل عنها، ولا مساومة عليها، ولكي يعيد الجميع حساباتهم مرات ومرات تجاه المدينة المقدسة.

❖ وفي زيارة القدس نصرةٌ لأهلها المرابطين فيها وفي أكنافها، ورفعٌ لمعنوياتهم في مواجهة المؤامرات التي تستهدف وجودهم.

فحين يشعر الفلسطينيون في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس أنهم ليسوا وحدهم، وأن معهم كل العرب وكل المسلمين، يشدون الرحال إلى مدينتهم المقدسة ليكونوا معهم، وليساندوا جهادهم وصمودهم، فإن روحهم المعنوية سترتفع حينئذٍ ولا شك، وسوف يزدادون صمودًا وثباتًا وتمسكًا بوجودهم في القدس، وفي هذا حمايةٌ للمدينة المقدسة، وإفشالٌ لمؤامرات الاحتلال الرامية إلى دفع المقدسيين لترك مدينتهم المقدسة.

والعكس بالعكس، فحين يشعر الفلسطينيون أنهم معزولون عن محيطهم العربي والإسلامي، وأنهم قد أضحوا بمفردهم في مواجهة المؤامرات التي تستهدف قدسهم، فإن همتهم ستضعف، ومعنوياتهم ستنخفض، فيسهل على الاحتلال أن ينفذ مؤامرته لدفعهم إلى الهجرة، وفي ذلك مضرةٌ محققة بقضية القدس.

إن الفلسطينيين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس هم تحت الاحتلال كالسجين سواء بسواء، وزياراتهم من إخوانهم العرب والمسلمين هي نصرةٌ لهم، وهذه النصرة واجبةٌ في أعناق المؤمنين تنفيذًا لأمر الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿وإن اسْتَنْصَروكُمْ في الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[1]، ونصرة السجين بزيارته هي إغاظةٌ للسجان، ولا يمكن بحالٍ أن تكون تطبيعًا مع ذلك السجان، أو اعترافًا بشرعيته كما قد يتوهم بعض الجهلاء، أو يروج بعض المغرضين.

❖ وفي زيارة القدس مصلحة اقتصادية محققة لأهلها، وهذا بلا أدنى ريب أمرٌ مطلوبٌ شرعًا، لأنه حيثما وُجِدَتْ المصلحةُ فَثَمَّ شَرْعُ الله.

فالذين يزورون القدس سيأكلون من طعامها، وسيبيتون في فنادقها، وسيركبون سياراتها، وسيشترون من أسواقها، وفي هذا كله إحياء لاقتصادها العربي الفلسطيني، ودعم لتجارتها ومصالح أهلها، وبذلك يساهم من يزورها في تعزيز صمود أهلها، ومساعدتهم على البقاء في مدينتهم المقدسة.

إن المحتلين يحاولون أن يجعلوا حياة المقدسيين جحيمًا لا يطاق، من أجل دفعهم إلى ترك مدينتهم المقدسة تحت أثقال الضغوط المعيشية والاقتصادية، التي تتسبب بها إجراءات الاحتلال العقابية العنصرية، من الضرائب الباهظة والمتعددة، إلى مصادرة البيوت والأملاك، إلى سحب بطاقات الهوية المقدسية من الفلسطينيين المقدسيين، وحرمانهم من حق الإقامة في بيوتهم التي ولدوا فيها، وورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ مئات السنين، إلى كل منظومة التطهير العرقي التي تنفذها سلطة الاحتلال الإسرائيلي بحق الفلسطينيين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

---

(1) سورة الأنفال (72)

فهل يجوز للعرب والمسلمين أن يتركوا أهل القدس وحدهم في مواجهة كل هذا العدوان؟ وهل من السائغ ألا يسارعوا إلى نصرتهم سياسيًا واقتصاديًا، بما يعينهم على الثبات في رباطهم المقدس في بيت المقدس وأكنافه المباركة، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، كما بَشَّرَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم؟

إن قضية القدس ليست قضية صغيرة، وإنما هي في صلب مصير الأمة كلها، ويجب أن تكون على رأس أولويات واهتمامات هذه الأمة، حكامًا وعلماء وشعوبًا على السواء، وهي اليوم بحاجةٍ أكثر من أي وقت مضى إلى أن تُشَدَّ إليها الرحال نصرة لها، ودعمًا لصمود أهلها ورباطهم، وفي هذا كما تبين معنا فضيلةٌ دينية وضرورة سياسية، يجب أن تتضافر لها كل جهود الأمة؛ حكامًا وسياسيين وعلماء ومفكرين وشعوبًا، وهذا واجبٌ لا يسقط عن أحدٍ من هؤلاء ما دام مستطيعًا قادرًا.

إن تقدير المصلحة السياسية، أو المضرة السياسية، من زيارة القدس يجب أن يكون راجعًا إلى رؤية سياسية واقعية واعية، وإلى خبرة ومعرفة دقيقة بطبيعة القضية التي يجري تقدير المصلحة أو المضرة فيها.

فهل ثمة أحدٌ أقدرُ على تقدير المصلحة ها هنا من أهل فلسطين والقدس أنفسهم؟ وهل يمكن لأحدٍ أن يكون عالماً بما يفيد الفلسطينيين وقضيتهم أكثر من الفلسطينيين أنفسهم؟ وهم ها هنا ينادون بشد الرحال إلى قدسهم، وإلى وجوب التواصل معهم، لما يدركون من أثر ذلك في نصرتهم وتثبيت أقدامهم، وهذا واجبٌ دينيٌ على الأمة بأسرها، وضرورةٌ سياسيةٌ لابد أن تسخر لها كل الجهود والإمكانات.

## فتوى التحريم .. لا دين ولا سياسة !!

رغم وضوح مسألة زيارة القدس من الناحية الفقهية كما تقدم معنا، ورغم أن الأدلة الشرعية الثابتة قد حسمت أمر هذه الزيارة باعتبارها فضيلةً دينيةً لا مِراء فيها، وسُنَّةً نبويةً ثابتةً لا جدال فيها إلا من جاهلٍ أو منافقٍ أو مُكابر، ورغم أننا لا نجد في تراثنا التاريخي والفقهي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ولو مجرد إشارة تناقض مفهومنا الإسلامي الثابت تجاه شَدِّ الرِّحال إلى بيت القدس، وإلى المسجد الأقصى المبارك، فضلاً عن المصالح الضرورية المحققة لأهل فلسطين ولقضيتهم من تواصل إخوانهم العرب والمسلمين معهم، إلا أن الشيخ يوسف القرضاوي جاءنا بفتواه العجيبة الغريبة في هذه المسألة، فحَرَّمَ على غير الفلسطينيين، من العرب والمسلمين، زيارةَ القدس أو الصلاةَ في المسجد الأقصى المبارك، بذريعة أنهما تحت الاحتلال الإسرائيلي، وأن في هذه الزيارة تطبيعًا مع ذلك الاحتلال واعترافًا به.

إن هذه الفتوى الغريبة المريبة مردودةٌ فقهًا وسياسةً على السواء، فهي فتوى مُحْدَثَةٌ تُخالف صريح الأدلة الشرعية، ولم يقل بمثلها، أو حتى قريبًا منها، أحدٌ من فقهاء الأمة من قبل، فوق أنها تتوافق بشكل مريبٍ مع سياسات الاحتلال الإسرائيلي الرامية إلى عزل القدس وإفراغها من أي حضور عربي أو إسلامي، وتضر ضررًا بليغًا بمصالح الشعب الفلسطيني المرابط في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس.

### فتوى مخالفة للدين:

تقدم معنا قول الإمام مالك رحمه الله أن كل أحدٍ يؤخذ من كلامه ويرد إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قول أبي حنيفة

وأحمد بن حنبل رحمهما الله أنه إذا خالف قولهما قول النبي صلى الله عليه وسلم ضربنا بقولهما عرض الحائط.

واستنادًا إلى هذا الفهم الصريح الصحيح لمقتضيات التشريع الإسلامي، ولطبيعة المرجعية الشرعية العليا المتمثلة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإننا سنذهب في موقفنا من هذه "الفتوى القرضاوية" مذهب هؤلاء الأئمة الأعلام، فنردها ولا نقبلها، بل ونضرب بها عرض الحائط، وذلك من الوجوه التالية:

(1) إن هذه "الفتوى القرضاوية" تخالف صريح السنة النبوية المشرفة، فالسنة المشرفة كما تقدم معنا قد شرعت للمسلمين أن يشدوا الرحال إلى بيت المقدس، وجعلت ذلك من أفضل الفضائل الدينية، وأزكى الأعمال الشرعية، دون أن تقيدها بوقت أو ظرف أو مكان، ما دام المسلم قادرًا على هذه الزيارة، وقد تبين ذلك من خلال جملة الأحاديث النبوية الشريفة التي سقناها آنفًا.

ولما كانت مرجعية التشريع مقصورةً على القرآن العظيم والسنة النبوية المشرفة، وعلى إجماع علماء الأمة وفقهائها فيما لا يخالف النصوص القرآنية أو النبوية، وعلى قياس ما لا نص فيه على ما فيه نص إذا اشتركا في العلة، كما يقرر الفقهاء والأصوليون، وحيث أن هذه "الفتوى القرضاوية" لا ترجع في تأصيلها إلى أيٍّ من هذه الأدلة الأربعة الثابتة: القرآن والسنة والإجماع والقياس، بل إنها فوق ذلك تخالف نصوص السنة النبوية وإجماع الأمة، فإنها تسقط في الاعتبار الشرعي بسبب هذه المخالفة، ولا يلزم مسلمٌ أن يأخذ بها، بل إن الأخذ بها يعني تقديم كلام القرضاوي على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما لا يمكن أن يسقط فيه

مسلم أو مسلمة أبدًا، إذ إنه يناقض صريح الإيمان كما ثبت من قوله تعالى: **﴿فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمنون حتى يُحَكِّموك فيما شَجَر بينهم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهم حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليمًا﴾**[1].

قد يقول البعض إنه قد اجتهد، فنقول لهم: فهل يجوز الاجتهاد في مخالفة النص؟ إن مما اتفق عليه علماء الفقه والأصول أن الاجتهاد لمعرفة الحكم أو الإتيان بالحكم لا يجوز ما دام النص موجودًا، كما أن الاتيان بحكم يخالف حكمًا منصوصًا عليه بقرآن أو سنة أو إجماع، مرفوضٌ ومردودٌ على صاحبه وغير جائز، أما الاجتهاد في فهم النص فهمًا دقيقًا فهو جائز وفق القواعد التي قررها العلماء المحققون.

إننا لا يمكن أن نقدم كلام أحدٍ من الناس على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله تبارك وتعالى قد ضمن لنا العصمة في حديثه، ولم يضمن لنا ذلك في حديث سواه، كما أن الله سبحانه يحذر من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم إلى أمر غيره من الناس مهما كانوا، وفي هذا يقول سبحانه: **﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفون عن أَمْرِه أنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصيبَهُمْ عذابٌ أليمٌ﴾**[2].

(2) إن قول الشيخ القرضاوي في فتواه "العجيبة" إن زيارة القدس مباحةٌ للفلسطينيين حرامٌ على غيرهم من المسلمين، هو تَجْديفٌ في دين الله بلا دليل، بل وبما يناقض الدليل، فمن أين جاء بهذا "الاجتهاد" الغريب؟ هل قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل ما هو حلالٌ للفلسطينيين حرامٌ على غيرهم؟ ثم من أين جاء القرضاوي بهذه

(1) سورة النساء (65).

(2) سورة النور (63).

التقسيمات؟ أليس الاستعمار هو الذي ابتدع هذه الحدود المصطنعة بين البلاد الإسلامية ليمزقها ويضعفها؟ أم أن "الشيخ" يتساوق مع هذه التقسيمات الاستعمارية ويتخذ منها أساسًا لفتوى دينية خالصة؟

ثم من قال إن الواجب تجاه القدس مقصورٌ على الفلسطينيين فقط؟ أليست القدس هي أمانة الدين والتاريخ في أعناق المسلمين جميعًا؟ وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأمرُ بشد الرحال إلى القدس يخاطب الفلسطينيين فقط؟

إن الواجبات الدينية تجاه القدس لا تعترف بالجغرافيا المصطنعة، بل هي لازمة في أعناق المسلمين جميعًا، عربًا وعجمًا، رجالاً ونساءً، حكامًا وشعوبًا على السواء، فالجميع أمام شريعة الله سواء، والجميع مخاطبون بالأحكام الشرعية المستمدة من الخطاب الديني المتعلق بأفعالهم باعتبارهم مكلفين شرعًا.

إن الدليل الشرعي المعتمد في هذه المسألة، وهو هنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاطب شعبًا مسلمًا دون آخر، ولم يكن يخاطب أهل بلدٍ دون غيرهم، بل هو خطابٌ عامٌ لكل المسلمين، لا يسقط عن أحدٍ منهم إلا بعذر شرعي، فأين هو العذر الشرعي الذي جعل القرضاوي يسقط التكليف عن غير الفلسطينيين؟ بل ويحرم عليهم أن يطيعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شد الرحال إلى بيت المقدس والصلاة فيه؟ تعالى الله علوًا كبيرًا!!

(3) يَدَّعي الشيخ القرضاوي أن زيارة القدس وهي تحت الاحتلال هي تطبيعٌ مع الاحتلال واعترافٌ به، ولذلك فهو يُحَرِّمُ هذه الزيارة على غير الفلسطينيين، وهذه دعوى ساقطةٌ مردودةٌ من وجوه:

**الوجه الأول:** أن زيارة مدينة القدس وهي تحت الاحتلال ليست بالضرورة تطبيعًا مع ذلك الاحتلال أو اعترافًا بشرعيته، إذ إن ذلك مرتبطٌ أولاً بنية الزائر وقصده، ثم بالنتيجة المترتبة على هذه الزيارة.

أما نية الزائر فهي من الأمور الخفية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يطلع عليها أحدٌ من الناس، وهي متروكة لصاحبها أن يقرر فيها: هل ينوي بزيارته التطبيع مع المحتلين والتسليم بشرعية الاحتلال، فتحرم زيارته لا لذاتها بل للنية المتعلقة بها، أم أنه ينوي بزيارته العمل بالسنة النبوية ونصرة بيت المقدس وأهلها، فتكون زيارته بذلك من أفضل القربات والطاعات؟

وأما النتيجة المترتبة على الزيارة فمرتبطةٌ بتقدير المصلحة من قبل جهتين: **الأولى:** هي الزائر الذي يأتي إلى القدس بنية الطاعة والعبادة، **والثانية:** هي أهل القدس أنفسهم، إذ هم أقدر على تقدير مصالحهم من غيرهم.

فإذا وجد الزائر، أو وجد أهل القدس أن في الزيارة مصلحةً دينية أو دنيوية فإن هذه الزيارة تكون مشروعة مطلوبة، أما إذا وجدوا أن فيها مفسدة دينية أو دنيوية، أو تطبيعًا مع الاحتلال، فإنه يمكن تركها والامتناع عنها دفعًا لهذه المفسدة.

وإذا وجد الزائر أو المقدسيون أن في هذه الزيارات منافع ومضارًا نظروا، فإن كانت منافعها أكبر من مضارها جازت، وإلا فإن تركها أولى.

فهلا قال الشيخ القرضاوي ذلك فنكون معه في قوله، وهلا قَيَّد فتواه بهذه القيود الشرعية فنؤيده، أما وإنه لم يفعل فقد أفسد فتواه بنفسه!!

**الوجه الثاني:** أن دخول أي بلدٍ لا يمتنع بغياب الحكم الإسلامي عن هذا البلد، فكيف إذا كان هذا البلد مقصودًا لذاته ولفضله ولبركته الدينية؟ ودخول أي بلد محتل أو له حكم دار الحرب في الفقه الإسلامي ليس اعترافًا بسلطة الاحتلال، ولا تطبيعًا مع العدو المحارب، أو تسليمًا بشرعية حكمه.

ونحن في هذا إنما نقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة بعد صلح الحديبية وهي تحت حكم المشركين، وكان بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة عشرات الأصنام، ولا يمكن لأحد أن يدعي أن فعله صلى الله عليه وسلم ذلك كان اعترافًا منه بشرعية الأصنام وحكم أهلها لمكة.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم قد دخل مكة إذ دخلها حينئذ لأداء عبادة العمرة، وكان دخوله إياها بموافقة كفار قريش وبشروطهم، حسبما تم في صلح الحديبية.

وتذكر روايات السيرة النبوية في قصة صلح الحديبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة مُعْتَمِرًا لا يريد حَرْبًا، وكان معه مئاتٌ من المهاجرين والأنصار، وساق معه الهَدْيَ وأَحْرَمَ بالعمرة، فلما سَمِعَتْ قريشٌ بمخرجه عقدوا العزم على منعه من دخول مكة المكرمة، وخرجوا بسلاحهم ليحولوا بينه وبين ما يريد من أداء العمرة، فسلك صلى الله عليه وسلم بالمسلمين طريقًا يبعدهم عن مكان قريش، حتى يتجنب الحرب والمواجهة العسكرية معهم، وقال يومها فيما رواه المسور بن مخرمة رضي الله عنه: "**والذي نَفْسي بيده، لا يَسْألوني خُطَّةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ الله إلا أَعْطَيْتُهُمْ إيَّاها**"(1).

ووفقًا لروايات السيرة النبوية، وبعد مفاوضات مباشرة وغير مباشرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش، تم الاتفاق بينهم على ما عُرف في التاريخ الإسلامي بصلح الحديبية، وذلك حسب الشروط التالية:

**الشرط الأول:** أن يعود النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين إلى المدينة المنورة دون أن يؤدوا العمرة، على أن يعودوا إلى مكة المكرمة بعد عام لأداء العمرة، بشرط ألا يقيموا بها لأكثر من ثلاثة أيام.

وتذكر روايات السيرة أنه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمرًا، مكث بها ثلاثة أيام، فلما مضى الأجلُ جاءت قريش إلى علي فقالوا: قُلْ لِصاحِبِك اخْرُجْ عَنَّا فقد مضى الأجلُ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم(2).

**الشرط الثاني:** الالتزام بوقف الحرب، وإعلان الهدنة بين المسلمين وكفار قريش مدة عشر سنين، ومن أحب من العرب أن يدخل في عَقْدِ النبي صلى الله عليه وسلم دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عَقْدِ قريش دخل فيه.

**الشرط الثالث:** التزام النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بردِّ من يأتيهم من قريش مسلمًا بغير إذن وَلِيِّه، بينما لا ينطبق هذا الشرط على قريش، فلا تَرُدُّ من لحق بها من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) أخرجه البخاري وأبو داود.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد وافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط رغم اعتراض المسلمين الذين رأوا فيه إجحافًا بهم، فإنهم قالوا عندما سمعوا هذا الشرط: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟.

وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، أنكتب هذا؟ قال: **"نعم، إنه مَنْ ذَهَبَ منا إليهم فأَبْعَدَه الله، ومَنْ جاءنا منهم سيجْعَلُ اللهُ له فَرَجًا ومَخْرَجًا"**[1].

وتذكر روايات السيرة أنه بعد إبرام هذا الصلح مباشرة جاء أبو جَنْدَل ابن سهيل بن عمرو، وكان قد حُبِسَ بمكة حتى يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه أبوه سهيل بن عمرو قام فأمسك به وضربه على وجهه، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، قد لَجَّتْ القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صَدَقْتَ، فجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أَأُرَدُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك من هَمِّ المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"يا أبا جَنْدَل اصبِرْ واحْتَسِبْ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلْحًا، وأعْطيناهم على ذلك وأعطونا عهْدَ الله، وإنا لا نغدر بهم"**[2].

وقد ورد في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تَساهُل في صلح الحديبية كثيرًا من أجل أن يضمن تحقيق الصلح، ويضمن بالتالي أن يتمكن بذلك من دخول مكة، حتى إن سهيل بن

(1) أخرجه مسلم.
(2) أخرجه البخاري

عمرو رفض أن يُكتب في وثيقة الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم، وأصر على أن يكتب: باسمك اللهم، كما تعودت قريش أن تكتب في كتبها، ورفض المسلمون إلا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على شرط قريش، وقال لكاتب الوثيقة، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **"اكتب باسمك اللهم"**[1].

كما بلغ من تساهله أيضًا أنه وافق على أن يكتب اسمه في وثيقة الصلح مجردًا، دونما صفة النبوة والرسالة، حينما رفضت قريش أن يكتب فيها"محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم"، وقالوا له: لا نُقِرُّ بها، فلو نَعلمُ أنك رسولُ الله ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: **"أنا رسولُ الله وأنا محمد بن عبد الله"**، ثم قال لعلي: **"امْحُ رسولُ الله"**، قال: لا والله لا أمْحوك أبدًا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتابَ فمحاها بيده.

فهل يمكن لأحد أن يدعي أن في قبول النبي صلى الله عليه وسلم بدخول مكة بكل هذه الشروط المجحفة "تطبيعًا" مع سلطة المشركين الذين كانوا يحكمون مكة المكرمة؟ أم أنه صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على دخول مكة، ولو من بوابة تلك السلطة الكافرة، تثبيتًا لحقه المشروع في الوصول إلى المسجد الحرام، وتأكيدًا لحق المسلمين جميعًا من لدنه إلى قيام الساعة في الوصول إلى مساجدهم المقدسة مهما كانت الظروف، ومهما تغيرت الأحوال؟

**الوجه الثالث:** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا المسلمين إلى شد الرحال إلى القدس، لم تكن حينها تحت حكم

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

المسلمين، وإنما تحت حكم الرومان، ولم يذكر في حديثه أية قيود تمنع زيارتها في مثل هذه الحال، فهل يظن "الشيخ" القرضاوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخطأ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك، حين لم يقيد الزيارة؟ وهل يظن "الشيخ" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم ما سيكون عليه مستقبل القدس، وأنها ستقع تحت الاحتلال مراتٍ ومرات، فدعا إلى زيارتها بغير قيود؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم حين دعا لزيارة بيت المقدس كان يعلم حاضرها ومستقبلها، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، كان يعلم أنها في زمانه كانت تحت الاحتلال الروماني، وأنها ستكون مستقبلاً تحت الاحتلال الصليبي، ثم الاحتلال البريطاني من بعده، ثم الاحتلال الإسرائيلي، ولكنه رغم ذلك دعا إلى زيارتها دون قيد أو شرط، وهذه الدعوة النبوية هي الملزمة لعموم المسلمين، أما رأي القرضاوي المخالف لهذه الدعوة النبوية، فلا أَقَلَّ من أن نضرب به عرض الحائط.

**الوجه الرابع:** أن هذه الفتوى القرضاوية قد خالفت إجماع الأمة على مر العصور، منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى عصرنا الحاضر، فقد أجمعت الأمة طوال تاريخها على أن زيارة بيت المقدس فضيلة دينية مشروعةٌ لا يمنع من القيام بها إلا عدم القدرة، ولم يؤثَرْ عن أحدٍ من فقهاء الأمة وعلمائها أن أفتى بمثل هذه الفتوى العجيبة، حتى حين كانت القدس تحت الاحتلال الأجنبي.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الإجماع على مشروعية السفر إلى القدس فقال في كتابه "رسالة شريفة في زيارة بيت المقدس": واتفقَ علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف.

بل إن أكثر الكتب التي أُلِّفَتْ في فضائل القدس وزيارتها قد وقع تأليفها في الفترة التي تزامنت مع وجود التحديات الخارجية على القدس، وبالذات في فترات الحروب الصليبية التي كان من نتائجها احتلال المدينة لفترة قاربت تسعين سنة، فهل كان كل أولئك الفقهاء أقل علمًا وفقهًا وإدراكًا من "الشيخ" القرضاوي هداه الله، حتى يأتي بهذه البدعة المحدثة التي تخالف ما أجمعت عليه الأمة على مر عصورها؟

ثم ماذا عساه يقول في أولئك العلماء الذين شدوا الرحال إلى القدس وهي تحت الاحتلال البريطاني عام 1931 ميلادية، من أمثال شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ العلامة محمد رشيد رضا، والشيخ المجاهد عبد العزيز الثعالبي، والشيخ المجاهد الحاج أمين الحسيني مفتي القدس والديار الفلسطينية، هل كان كل هؤلاء يطبعون مع الاحتلال أو يُقِرُّون بشرعيته بزيارتهم للقدس؟ أم تراه يظن نفسه أيضًا أكثر منهم علمًا ودينًا ووطنيةً؟!

ثم من أخبر "الشيخ" القرضاوي أن إسرائيل ترحب بقدوم العرب والمسلمين إلى القدس؟ ألا يعلم أن الاحتلال الإسرائيلي يضع كل العراقيل والحواجز والموانع أمام الفلسطينيين حتى يعزل القدس عن أهلها؟ فكيف سيروق إذن لهذا الاحتلال أن يشد ملايين العرب والمسلمين رحالهم إلى القدس المحتلة؟

إن زيارة العرب والمسلمين للقدس ليست تطبيعًا مع الاحتلال ولكنها إغاظةٌ له، وكفى بهذا فضلاً وأجرًا، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى في ثواب المؤمنين الذين يَتَحَدَّوْنَ الظلم والطغيان ويغيظونه:

﴿ذلك بأنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيلِ الله ولا يَطَئون مَوْطِئًا يَغيظُ الكُفَّارَ ولا يَنالونَ منْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلا كُتِبَ لَهُمْ به عَمَلٌ صالح﴾[1]، فلماذا يريد القرضاوي بفتواه العجيبة هذه أن يحرم ملايين العرب والمسلمين من هذا الفضل العظيم، ومن هذا الثواب الجزيل؟ ولماذا يريد إراحة الاحتلال والتسليم له بعزل القدس؟

**فتوى ضارة سياسيًا:**

لا يقتصر خطأ هذه "الفتوى القرضاوية" على مخالفتها للسنة النبوية المشرفة، ولإجماع المسلمين على مر العصور، مع أن ذلك كافٍ لردها وإسقاطها، ولكن خطأها يشمل أيضًا أنها تضر بالقضية الفلسطينية عمومًا، وبقضية القدس خصوصًا، وبمصالح الشعب الفلسطيني في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس، ضررًا بينًا محققًا.

إن الإفتاء بتحريم زيارة القدس يتوافق ويتساوق مع السياسة الإسرائيلية القائمة على عزل المدينة عن عمقها العربي والإسلامي، وإفراغها من أي وجود يمثل العرب والمسلمين والفلسطينيين، كجزء من مخطط التهويد الذي تعكف عليه الحكومات الإسرائيلية المختلفة، والتي تبذل من أجل تنفيذه كل الجهود والإمكانات.

إن هذه الفتوى العجيبة مرفوضة دينيًا كما أسلفنا آنفًا، وهي كذلك مرفوضة وضارة سياسيًا وذلك من الوجوه التالية:

(1) إن هذه الفتوى تتوافق تمام التوافق مع السياسية الإسرائيلية الرامية إلى عزل القدس، وتقدم خدمة مجانية ومريحة للاحتلال الإسرائيلي الذي لا يروق له أن يرى أي وجود عربي أو إسلامي أو مسيحي في المدينة المقدسة.

إن إسرائيل تريد القدس خاليةً من أي وجود عربي أو إسلامي، لكي تتمكن من تهويدها بالكامل، ولكي يتسنى لها هدم المسجد الأقصى المبارك وإقامة الهيكل اليهودي مكانه، والذين ينادون بمنع العرب والمسلمين من شد الرحال إلى القدس خوفًا من التطبيع مع الاحتلال هم في الحقيقة يعملون بذلك لصالح الاحتلال، ربما من حيث لا يريدون، لأنهم يساعدون الاحتلال في إفراغ القدس من أهلها الذين لن يستطيعوا وحدهم صد مؤامرات التهويد، التي تأخذ أشكالاً مختلفة، سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية، وهي المؤامرات التي استفادت من انقطاع العرب والمسلمين عن زيارة مدينتهم المقدسة، فعاثت في أرضها فسادًا وتهويدًا وتزويرًا وتطهيرًا عرقيًا عنصريًا.

(2) هذه الفتوى "القرضاوية" تساهم في تكريس عزلة المدينة وأهلها عن عمقهم العربي والإسلامي، وفي هذا إضعاف محقق لمعنوياتهم، وإسلام لهم للاحتلال الإسرائيلي ومخططاته العنصرية، فيستفرد هذا الاحتلال بالمدينة المقدسة وأهلها في ظل عزوف العرب والمسلمين عن زيارتهم والتواصل معهم، في الوقت الذي تنشط فيه منظمات صهيونية متطرفة في حث اليهود وتشجيعهم على القدوم إلى القدس، لزيارتها والإقامة فيها من أجل إضفاء الطابع اليهودي عليها، بينما يقعد العرب والمسلمون عن نصرتها، ولو حتى بمجرد شد الرحال إليها لزيارتها والصلاة في مسجدها الأقصى، أليس هذا من عجائب المفارقات؟ أوليس يدرك المانعون لزيارة القدس تحت شعارات واهية أنهم

---

(1) سورة التوبة (120)

بذلك إنما يسلمون القدس للاحتلال الإسرائيلي، وللمستوطنين اليهود ليفعلوا بها ما شاءوا، مطمئنين إلى أن العرب والمسلمين قد تركوها وحيدةً تواجه مصيرها؟.

إن إسرائيل تعمل على ربط كل يهود العالم بالقدس، وتعمل على تشجيع الزيارات اليهودية إلى مدينتنا المقدسة، وتريد بذلك أن توهم العالم بأنها مدينة يهودية خالصة، بينما نجد في المسلمين من يفتي بمنع العرب والمسلمين من زيارتها، دون أن يدري أنه إنما يساعد في تنفيذ المخطط الإسرائيلي الرامي إلى إظهار المدينة المقدسة وكأنها مدينة يهودية، وإلى إضفاء الصبغة اليهودية على كل أرجائها.

(3) هذه الفتوى الفاجعة تساعد الاحتلال الإسرائيلي على فرض الأمر الواقع في المدينة المقدسة، عبر اختزال الوجود العربي والإسلامي والمسيحي، وهو ما يمكن أن يشكل أساسًا لتكريس السيطرة الإسرائيلية قانونيًا، فيما لو تم انتداب أية لجان دولية لتقرير مصير القدس، حيث ستكون الأغلبية أمام مثل هذه اللجان أغلبية يهودية، الأمر الذي سيؤثر بكل تأكيد في أي قرار يمكن أن يصدر عنها.

(4) إن فتوى القرضاوي تمنع واجب النصرة الاقتصادية للقدس وأهلها المستهدفين بالاستئصال من أرضهم وبيوتهم ومدينتهم، وهم الذين يعانون من كساد تجارتهم بسبب القيود والعزلة الإسرائيلية، ويمكن لزيارة العرب والمسلمين لمدينتهم المقدسة أن تساهم في رواج تجارتهم ومصالحهم الاقتصادية، سواء على مستوى البيع والشراء، أو على مستوى المؤسسات الفندقية والمواصلات المملوكة لفلسطينيي المدينة المقدسة، والتي تتعمد إسرائيل مقاطعتها، وتحرض على ذلك.

(5) إن قصر القرضاوي في فتواه زيارة القدس على الفلسطينيين فقط يعني المساهمة في تقزيم هذه القضية المقدسة، واختزال هويتها في الهوية القُطْرية الفلسطينية، رغم التسليم بأن هذه المدينة المقدسة هي مسئولية عربية وإسلامية، وليست مسئولية فلسطينية فحسب، وبدل أن يدعو القرضاوي إلى جعل القدس العنوان المركزي والأساس للتحرك العربي والإسلامي، نراه بهذه الفتوي "المريبة" يريد أن يختزلها في الفلسطينيين وحدهم، وأن يمنع بسيف الفتوى الدينية باقي العرب والمسلمين من التحرك لأجلها، ولو بأضعف الإيمان وهو التواصل بالزيارة معها ومع أهلها.

لكل هذه الأسباب والوجوه الدينية والسياسية فإننا نقول مطمئنين إلى قناعاتنا الفقهية والسياسية، ومستمسكين بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم: إن فتوى التحريم التي جاء بها الشيخ القرضاوي ساقطة دينيًا وسياسيًا، وإن العمل بها هو مخالفة صريحة لمقتضيات الحكم الشرعي المستمد من الخطاب النبوي الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: **﴿وما يَنْطِقُ عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى﴾**[1].

وختامًا نعود ونقول، واستنادًا إلى كل ما أوردناه من مرتكزات فقهية وسياسية وتاريخية: إن زيارة القدس هي فضيلة دينية وضرورة سياسية، كما أنها حق مشروع للعرب والمسلمين والمسيحيين لا يحق لهم أن يتنازلوا عنه أو أن يتهاونوا فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) سورة النجم (3- 4).

# الفهرس